الـــدعـــوة الأســريـــة
من خـــلال
صحيــح الإمـــام البخـــاري

د/ محمد عطية متولي

ملخص البحث:

تناول الباحث في هذا البحث قضية دعوة الأسرة والأقربين إلى الله تعالى والبدء بهم من خلال الأحاديث الواردة في صحيح الإمام البخاري، وذلك من خلال المسؤولية المشتركة بين أفراد الأسرة وعلاقة بعضهم ببعض، وبدا البحث بالحديث عن دعوة الزوجين لبعضهما البعض، ثم دعوة الأبناء، والأحفاد، والأخوة، والأصهار، وبين البحث أنه ينبغي على كل فرد في الأسرة أن يؤدي ما عليه نحو نفسه ونحو الآخرين، كما خلص إلى أنه إذا استقامت حياة الداعية مع زوجته استقامت تعاملاته مع الناس، وأن حب الوالد لولده لا يمنع من تقويمه ونصحه وإرشاده، كما أن رعاية الأب لأبنائه لا تتوقف عند بلوغهم عمر معين.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

وبعد

للأسرة في دين الله تعالى وعند الأسوياء من البشر شأن عظيم؛ فهي النواة التي تقوم عليها المجتمعات وهي التربة الصالحة التي يخرج منها من يبني ويعمر ويصون الأرض والعرض ويحمي المقدسات . وكم وجهت لهذة المؤسسة (مؤسسة الأسرة) من ضربات في نشأتها وبنيتها واتصال أفرداها، لتصبح المجتمعات جزر منعزلة لا يربط بينها رابط أو تقوم روابط سريعة التحلل والتبدل مما يؤدي إلى مجتمعات سريعة التقلب والتشكل.

و(تضم الحركات المعادية للأسرة التقليدية توجهات فكرية عديدة منها: الشيوعية والرأسمالية والوجودية الملحدة والعلمية الراديكالية وتحرير المرأة وغيرها وتتفق هذه الحركات جميعها على الإباحة الجنسية والجنسية المثلية والتمرد على الزواج وتحرير المرأة من أدوارها التقليدية وهدم الأسرة التقليدية وتخليص المجتمعات الحديثه من شرها وأضرارها النفسية والاجتماعية)ذلك لأن(الأسرة هي المحور الأساسي للحياة الإنسانية، فبدونها لا تستقيم الحياة الاجتماعية، وإذا كانت الأسرة – سواء وحدة اجتماعية صغيرة أو ممتدة أو شبكة قرابة – فإنها في آن واحد هي المنبع المتدفق والمصب الأرحب المتميز الذي يجمع ويلخص كافة النظم الاجتماعية المحورية لأي مجتمع .. فهي أشبه ببوتقة ينصهر ويتفاعل فيها أنساق الفكر والدين، وأساليب التنشئة والثقافة ، والتقاليد والأعراف والآداب والقيم وأنماط السلوك الإنتاجية والاستهلاكية ،ومشاعر المودة والصحبة في العلاقات الزوجية ووشائج القرابة.

والأسرة بعبارة أخرى هي مرآة صادقة تعكس في الغالب الأعم الواقع الكلي الشامل للحياة الاجتماعية، سواء في البيئات الصحراوية أو الريفية أو الحضرية أو بين بسطاء الناس وأوسطهم وأعلاهم في سلم التدرج الطبقي)١

١– موسوعة الأسرة اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق الشريعة ٣/٣١ ، الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

أهمية الموضوع: في هذه الصفحات نحاول توضيح نوع من فروض الأعيان غاب عن أعين الكثيرين فانطلقوا ليلهم ونهارهم وبذلوا أكبر جهدهم في دعوة الناس للخير –وهذا حسن، لكنه فرض كفاية – وتركوا فرض العين وهو البداية بالأقربين. والموفق من قدم الأهم على المهم وسار في إصلاح نفسه وأهله والناس من حوله وفي هذه الصفحات نتلمس هدى المصطفى صلى الله عليه وسلم في دعوته لأسرته .

وأقصد بالدعوة الأسرية: توجه الداعية إلى أسرته ليأخذ بيدهم إلى تحقيق التقوى بما آتاه الله من قول سديد ورأي رشيد وخلق حميد وهذا من قيامه بحق أسرته عليه.

المصطلحات القريبة:

الإرشاد الأسري: وهو عبارة عن الخدمات الإرشاديه النفسية والاجتماعية التي تتلقاها الأسرة كنظام يعمل كوحدة واحدة تجمع أفراده علاقات وأدوارا اجتماعية متبادلة المصلحة حيث تؤثر مشكلة أحد الأفراد داخل الأسرة على باقي أفرادها وتتأثر بهم لذا فإن عملية الإرشاد الأسري عادة ما توجه اهتماما إلى الكيفية التي تؤثر فيها **طريقة تصرف الأسرة في مشكلة الفرد** وفي ما إذا كان تغيير طريقة تصرف الأسرة بشكل أكثر ملائمة، فإن ذلك ما يؤدي إلى تخفيف حدة المشكلة أو إنهائها خصوصا إذا ما تضافرت جميع الجهود داخل الأسرة وخارجها بتوجيه من القائمين على تحقيق التوافق الأسري نفسيا واجتماعيا وانفعاليا وذلك من خلال التعاون المباشر بين الأسرة والمدرسة عن طريق مجالس الآباء وممثلي المجتمع المحلي[٢]مما سبق يتضح أن أحد اهتمامات الإرشاد الأسري هو تقديم الدعم للأسرة كمؤسسة حتى تتمكن من التعامل مع المشكلات التي يواجهها أحد أفرادها وهذا يتطلب تعاون كل أفراد الأسرة مع من يقدم لهم هذا الدعم النفسي ومعنى هذا أن النصيحه توجه ممن يقوم بالإرشاد الأسري إلى الأسرة التي تقدمها بدورها إلى أحد أفرادها.

(وكذلك يهدف الإرشاد الأسري لمساعدة أفراد الأسرة (الوالدين والأفراد وحتى الأقارب) فرادى أو كجماعة في فهم الحياة الأسرية ومسؤليتها لتحقيق الاستقرار والتوافق الأسري وحل المشكلات فالإرشاد الأسري هدفه الأساس هو تحقيق التوافق والسعادة بين أفراد الأسرة وحل المشكلات

---

[٢]- التوجيه والإرشاد النفسي بين النظرية والتطبيق محمد جواد الخطيب صـ٣٨٧ ط/مكتبة الآفاق الثالثه ٢٠٠٤.

ومعرفة كل واحد داخل الأسرة مسئولياته وواجباته والقيام بها على أكمل وجه ؛مما يعود على المجتمع بالاستقرار والسعادة وفي هذا تقوية وتحصين الأسرة ضد احتمالات الاضطرابات والانهيار وتحقيق التوافق الأسري والصحة النفسيه في الأسرة)[٣] فهم طبيعة الحياة أحد أهم الأسباب التي توصل الإنسان إلى تحقيق التكيف معها ومعرفة الحقوق والواجبات وتحقيق التوافق يحول دون التصادم بين أفراد المجتمع.

أهداف الإرشاد الأسري:يهدف الإرشاد الأسري إلى تحقيق مجموعة من الأهداف وهي:

١- مساعدة الأسرة في التعرف على نواحي الخلل الوظيفي في العلاقات الأسرية.
٢- تدعيم قنوات الاتصال بين أعضاء الأسرة.
٣- مساعدة الأسرة في مواجهة المشكلات التي تواجهها والتغلب عليها.
٤- زيادة درجة التماسك بين أعضاء الأسرة وتحقيق الاستقرار في الحياة الأسرية.
٥- تعديل أنماط العلاقات القائمة بين أعضاء الأسرة .
٦- تعليم الأطفال كيفية المشاركة وتحمل المسؤولية.
٧- تعديل بعض القيم والاتجاهات السلبيه بين أفراد الأسرة ككل)[٤]

ومهمة الإرشاد الأسري تقوم بها بعض المكاتب التي يديرها أفراد أو تديرها الدوله كما هو الحال في بعض الدول وهي تؤدي أدوارا معينة لخدمة الأسرة منها:

١-العمل على تقريب وجهات النظر بين الزوجين في حال الشقاق،و مناقشة أسباب الطلاق التي أبداها الزوجان أو أحدهما وهل هي أسباب خليقة بان تنتهي الحياة الزوجية لأجلها أم يمكن علاجها أو التعايش مع وجودها.

٢-العمل على إزالة سوء الفهم بين أحد الوالدين أو كلاهما والأبناء.

ب- المجالس العرفية وهي التي تقوم بمحاولة حل النزاع بين أفراد الأسرة الواحدة أو أسرتين دون اللجوء إلى ساحات القضاء.

والفارق بين الدعوة الأسرية وما سبق من أدوار تقوم بها المؤسسات التي أشرت إليها:

---

[٣]- علم النفس الاجتماعي عبد السلام حامد زهران صـ٣٨٥ ط/ عالم الكتب الأولى ١٩٩٤م.
[٤]- الإرشاد النفسي ، النظرية – التطبيق – التكنولوجيا ،طه عبد العظيم حسين صـ١٣٢،ط/دار الفكر الأردن ،٢٠٠٤

١-أن الدعوة الأسرية يقوم بها أحد أفراد الأسرة أما في الإرشاد الأسري والمجالس العرفية فيقوم به من لا يمتون للأسرة بصلة.

٢-في الدعوة الأسرية يتفقد الداعية أسرته ومدى التزامهم بمنظومة القيم والأخلاق ومدى حسن سيرهم إلى الله تعالى محاولا تعديل المسار وإزالة العقبات وتقديم المعونة بالحكمة والموعظة الحسنة في السراء والضراء أما مكاتب الإرشاد الأسري فقد لا تراعي البعد الديني- مع ما له من أهمية بالغة- أثناء معالجتها للمشاكل النفسيه والاجتماعية .

٣- كما أن الناس لا تتوجه لهذه المكاتب إلا في حال وجود مشكلة فقط أما الدعوة الأسرية فهي دعوة مستمرة في السراء والضراء والشدة والرخاء.

٤-المكاتب لا تتوجه إلى من يحتاجون إلى توجيهها أما الداعية فيبادر بتقديم معونته إلى من يحتاجها داخل الأسرة وخارجها.

٥- النصيحه التي يقدمها الإرشاد الأسري إلى الأسرة والتي تقدمها بدورها إلى أحد أفرادها لكن الداعية يقدم نصيحته مباشرة إلى من يحتاج إليها وأحيانا يستعين بمن يراه مناسبا من أفراد الأسرة في إيصال الرسالة الدعوية.

٦-تهتم مكاتب الإرشاد النفسي بمعالجة المشكلات بين الفرد ونفسه والفرد وأفراد أسرته والفرد والمجتمع من حوله والداعية يسعى جاهدا لإصلاح الخلل في هذه العلاقات ويزيد عليها إصلاح ما يحدث من خلل في علاقة الفرد بربه وهذه العلاقة هي أساس الانضباط والصلاح وإذا استقامت استقام له سائر تعاملاته مع الكون ومع الإنسان.

مشكلة البحث:

١-انطلاق بعض الدعاة في مختلف مجالات العمل الدعوي حتى استغرق أيامهم بل أعمارهم وشغلتهم واجباتهم الدعوية والحياتية عن رعاية من ولاهم الله أمرهم وحدثت الفجوة – عند هؤلاء – بين ما يجب أن تكون عليه أسرة الداعية الذي ملأ الدنيا علما ووعظا وبين واقع بعض أفراد أسرته مما يشكل مطعنا فيه وربما فيما يدعو إليه وحتى نتجنب هذا المنزلق الخطير لا بد أن

يوفي الداعية كل ذي حق حقه فللأسرة عظيم الحق في الرعاية والتزكية وللعلم حقه في الاكتساب والنشر وللمدعوين حقهم في حسن التفقد والتعهد.

٢- تكمن المشكلة أيضا في وجود أفراد يشتركون في أصل واحد وينشأون في بيئة واحدة ويحاول أحدهم أن يكون الرائد الذي لا يكذب أهله فيقف موقف الناصح حينا والواعظ حينا ورغم حاجة أفراد الأسرة إلى النصح والتوجيه فإنهم قد لا يقبلون ذلك من واحد منهم إذ يسرون في أنفسهم وقد يبدون بم يمتاز علينا ويكون صاحب الصوت المسموع الذي إذا دعى وجب علينا أن نلبي؟؟وحتى يجد الداعية لدعوته محل في قلوب أسرته لابد أن يطلع على السنة النبوية التي عالجت مواقف يتعرض لها الداعية داخل أسرته وقدمت نماذج للدعاة داخل أسرهم وفي هذه الصفحات عرض لهذه المواقف وبيان لمسالك هذه الشخصيات التي هي في موضع القدوة والتي أدركت ثمار ما قدمت من نصح وتوجيه ولا زالت طريقتهم التي اقتبسوها من مشكاة النبوة أنجع الطرق في الدعوة الأسرية وغيرها.

خطة البحث: وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث، المبحث الأول بعنوان: دعوة الزوجين لبعضهما البعض، والمبحث الثاني: بعنوان دعوة الأبناء، وجاء المبحث الثالث تحت عنوان: دعوة الأحفاد وكان المبحث الرابع بعنوان دعوة الأخوة وأخيرا المبحث الخامس بعنوان: دعوة الأصهار.

وختاما أقول{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ } [النمل: ١٩]

{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الأحقاف: ١٥]

د/محمد عطيه متولي

تمهيد:

علاقة أفراد الأسرة بعضهم ببعض:

يصف النبي – صلى الله عليه وسلم – علاقة المسلم بغيره من المسلمين فيقول (كلكم راع)[٥] ومن صفات الراعي في عالم الحيوان:

١–أنه يتفقد مواضع الخصب لكي تحصل رعيته على أحسن غذاء، ومن ثم يتحقق الهدف من الرعاية وهو الحصول على أثقل الأوزان وأصح الأبدان.

٢– والراعي كذلك يترصد مواضع الخطر فيجتنبها، وهذا يتطلب يقظة دائمة فالأعداء يتربصون الدوائر وكلما كانت الرعية سمينة حسنة كان الطمع فيها أشد.

٣–وتقتضي فكرة الرعاية كذلك تتبع حالة الكائن المرعي من حيث النمو، ليلحق الضعيف بالقوي ويوفر الراعي للضعيف غذاءه دون عناء وعراك مع الأقوياء، ويعمل على معالجة أسباب هزاله بتوفير الرعاية بكل أشكالها.

ومن واجبات الراعي في عالم الإنسان:

١–أن يتفقد مواضع الخلل في شخصية المدعو ويحاول إصلاحها سالكا شتى السبل التي توصله لمقصوده.

٢–كما يتفقد مواضع الصلاح فينميها ويبرزها أمام عين من يخاطبه، وكلما تزكى الإنسان ورأى جوانب الصلاح فيه كلما ارتقت همته نحو الخير فالخلق الحسن يجذب بعضه بعضا.

٥– صحيح البخاري كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى المدن ص١٤٤

٣- ألا يتنصل من مسؤليته عن رعيته و يلقي بالمسئولية كاملة على المرأة تربية وتعليما وتنظيفا وطبخا إلى آخر هذه الأعمال ،ويكتفي فقط بجلب المال تاركا واجباته نحو أسرته من زوجة وأبناء بدعوى انشغاله بالكسب والواقع أنها أعباء لا يريد أن يتحملها.

ف(إذا أصاب الواحد منهم نجاحا ظاهرا في عمله ،فإن هذا يتطلب منه أن يكون يوم عمله مفتوحا – أي غير محدد بساعات معينة – وقد يتطلب منه كثرة الأسفار ،فيلقي عبء الأسرة وعبء التربية كله على الزوجة، وفي كل هذه الحالات يشعر الزوجان أن الوقت يطاردهما، ولهذا فليس هناك وقت لغير الضروريات)٦ (قال المهلب: هذه (الأمانات الواردة في الحديث) كلها أمانات تلزم من استرعيها أداء النصيحة فيها لله ، ولمن استرعاه عليها)٧ فإن أداها حق أدائها كانت الثمرة، إنسانا صالحا مصلحا تنتفع به العباد والبلاد وتقر به الأعين، وإن لم يؤد الراعي الذي ائتمنه الله تعالى الأمانة كما ينبغي، وجدنا كائنا بلا هوية تتقاذفه ريح الشهوات والشبهات والضياع، وفوق ذلك وقف بين يدي الله تعالى للسؤال، وهؤلاء الذين ضيعهم يسألونه ويحاجونه (قال المهلب: منع الحقوق – في الأبدان كانت أو في الأموال – مما يوجب سخط الله)٨

و(الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره، فكل من كان تحت نظره شيء فهو مطلوب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته، فإن وفّى ما عليه من الرعاية؛ حصل له الحظ الأوفر، والأجر الأكبر، وإن كان غير ذلك طالبه كل أحدٍ من رعيته بحقه)٩.

مسؤلية مشتركة: ولكي نصل إلى مجتمع يسعى نحو الخير ولا يعرقل بعضه بعضا، ينبغي على كل فرد من أفراد هذا المجتمع أن يؤدي ما عليه نحو نفسه ونحو الآخرين ، عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ « **كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ**

٦- كيف نحمي أسرنا من التفكك ا.د عبد الكريم بكار صـ ٢٠ط/مؤسسة الإسلام اليوم الثانية ، ربيع الثاني ١٤٣٠هـ

٧- شرح صحيح البخارى. لابن بطال (٧/ ٧٠)

٨-فتح الباري لابن حجر ٢٣٢/٩

٩- التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٧/ ٤٤٧)

عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِى أَهْلِهِ وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِى بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِى مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ – قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ – وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِى مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»١٠ .

(وقد اشترك الإمام والرجل والمرأة والخادم في هذه التسمية، ولكن المعاني مختلفة؛ فرعاية الإمام: إقامة الحدود والأحكام فيهم على سنن الشرع، ورعاية الرجل أهله :سياسته لأمرهم وتوفية حقهم في النفقة والكسوة والعشرة، ورعاية المرأة: حسن التدبير في بيت زوجها ،والنصح له، والأمانة في ماله وفي نفسها، ورعاية الخادم لسيده: حفظ ما في يده من ماله والقيام بما يستحق من خدمته، والرجل ليس له بإمام ولا له أهل ولا خادم: يراعي أصحابه وأصدقاءه بحسن المعاشرة على منهج الصواب، فإن قيل: إذا كان كل من هؤلاء راعيا فمن المرعي؟ أجيب، هو، أعضاء نفسه وجوارحه وقواه وحواسه، أو الراعي يكون مرعيا باعتبار أمر آخر، ككون الشخص مرعيا للإمام راعيا لأهله، أو الخطاب خاص بأصحاب التصرفات ومن تحت نظره ما عليه إصلاح حاله)١١. ومن لوازم الرعاية، النصرة (عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: "**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: "تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ)١٢

(النصرة عند العرب: الإعانة والتأييد، وقد فسر الشارع أن نصر الظالم منعه من الظلم؛ لأنه إذا تركه على ظلمه ولم يكفه عنه، أداه إلى أن يقتص منه، فمنعك له ما يوجب عليه القصاص نصرة له، وهذا من باب الحكم للشيء، وتسميته بما يئول إليه وهو من عجيب الفصاحة ووجيز البلاغة)١٣.

١٠- صحيح البخاري كتاب الجمعه باب الجمعة في القرى والمدن صـ١٤٤

١١ -عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني٦/٢٧٥

١٢- صحيح البخاري كتاب المظالم باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما صـ٣٩٤

١٣-التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٥/ ٥٧٨)

(قال البيهقي معناه أن الظالم مظلوم في نفسه، فيدخل فيه ردع المرء عن ظلمه لنفسه حسا ومعنى)١٤ هذا نوع من التعاون على البر بين المؤمنين وبعضهم البعض، وهو السبيل لإقامة مجتمع مسلم يتواصى بالحق ويتواصى بالصبر ويتناصح لإزالة العيوب وتزكية النفوس وإصلاح الخلل وتجنب الزلل.

هذا الحديث الشريف يرشدنا إلى واجب نصرة الأخ لأخيه، وهذه المسئولية تتضاعف عندما تكون الرابطة بين المسلم وأخيه هي رابطة الإيمان ورابطة النسب والصهر.

عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: "إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا". وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ)[١٥]. (وظاهر الحديث الإخبار ومعناه الأمر وفيه التحريض على التعاون)١٦.

(ويفهم من تشبيكه صلى الله عليه وسلم:أن تعاضد المؤمنين بينهم كتشبيك الأصابع بعضها في بعض ، فكما أن أصابع اليدين متعددة فهي ترجع إلى أصل واحد ورجل واحد ، فكذلك المؤمنون وإن تعددت أشخاصهم فهم يرجعون إلى أصل واحد ، وتجمعهم أخوة النسب إلى آدم ونوح ، وأخوة الإيمان)١٧ فإذا كانت هذه هي مسئولية المؤمن عن إخوانه من المؤمنين، فكيف تكون مسئوليته عن من ولاهم الله إياه من أسرته؟.

أنموذج للتعاون على البر: وقد حفل تاريخنا الإسلامي بأسر تتواصى بالحق والصبر ويرعى كل منهم رعيته كما أمر الله تعالى ومن ذلك ما راوه الإمام البخاري **(عَنْ هِشَامٍ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِى بَكْرٍ** أَنَّهَا قَالَتْ سَأَلَتِ امْرَأَةٌ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ إِحْدَانَا إِذَا أَصَابَ ثَوْبَهَا الدَّمُ مِنَ الْحَيْضَةِ ، كَيْفَ تَصْنَعُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – « إِذَا أَصَابَ ثَوْبَ إِحْدَاكُنَّ الدَّمُ مِنَ الْحَيْضَةِ ،

١٤–فتح الباري لابن حجر ٥/ ١١٧

[١٥]– صحيح البخاري كتاب الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره.

١٦– التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٦/ ١٨)

١٧– فتح الباري . لابن رجب (٢/ ٥٨٤)

فَلْتَقْرُصْهُ ثُمَّ لِتَنْضَحْهُ بِمَاءٍ ، ثُمَّ لِتُصَلِّى فِيهِ »)١٨ (قوله:"هشام" هو بن عروة بن الزبير ،عن فاطمة: هي بنت المنذر بن الزبير وهي زوجة هشام وبنت عمه، قوله:"عن أسماء" هي: بنت أبي بكر الصديق زوج الزبير بن العوام وهي جدة هشام وفاطمة جميعا)١٩ نرى الزوج يروي عن زوجته والمرأة تروي عن جدتها، فهي أسرة تتداول العلم ،وكم من علم قد ذهب ولم يورث مع ما ورث من مال أو جاه أو سمعة؟

تكريم الإسلام للمرأة:

تتبوأ المرأة في الإسلام مكانة عظمى وقد نالت في دين الله تعالى حقوقا لم تنلها في غيره، وما نرى من وضع للمرأة يحزن القلب ويسر العدو ما هو إلا حصاد مر للبعد عن هداية السماء، وقد بين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كيف كانوا يعاملون المرأة قبل الإسلام فيما رواه الإمام البخاري في صحيحه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: قَالَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لاَ نَعُدُّ النِّسَاءَ شَيْئًا، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ وَذَكَرَهُنَّ اللهُ، رَأَيْنَا لَهُنَّ بِذَلِكَ عَلَيْنَا حَقًّا**، مِنْ غَيْرِ أَنْ نُدْخِلَهُنَّ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِنَا، وَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ امْرَأَتِي كَلاَمٌ، فَأَغْلَظَتْ لِي، فَقُلْتُ لَهَا: وَإِنَّكِ لَهُنَاكِ؟. قَالَتْ: تَقُولُ هَذَا لِي وَابْنَتُكَ تُؤْذِى النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم –!)٢٠ كانت المرأة قبل الإسلام ليس لها حق مقرر عند الرجال، وهي في نفسها لا ترى أن لها حقا أو تدرك أن لها حقا لكن لا تعرف كيف تصل إليه، فلما ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم أدركت مكانتها عند خالقها فلم لا يكون لها مكانة عند المخلوقين؟ لكن البعض أعطاها حقها وحرمها من المشاركة فيما يعرض من أمور تحتاج إلى تكاتف الجميع رجالا ونساءا قال عمر بن الخطاب (فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ وَذَكَرَهُنَّ اللهُ، رَأَيْنَا لَهُنَّ بِذَلِكَ عَلَيْنَا حَقًّا، مِنْ غَيْرِ أَنْ نُدْخِلَهُنَّ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِنَا).

وقد وصف حالها الإمام ابن حجر فقال في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "وكنا معشر قريش نغلب النساء"(أي: نحكم عليهن ولا يحكمن علينا بخلاف الأنصار فكانوا بالعكس

١٨– صحيح البخاري كتاب الحيض باب غسل دم المحيض صـ٥٤

١٩– فتح الباري لابن حجر ١/ ٢٣٠

٢٠– صحيح البخاري كتاب اللباس باب مَا كَانَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – يتجوز مِنَ اللِّبَاسِ وَالْبُسْطِ صـ١٠٢٩

من ذلك، وفي رواية يزيد بن رومان:" كنا ونحن بمكة لا يكلم أحد امرأته إلا إذا كانت له حاجة قضى منها حاجته" وفي رواية عبيد بن حنين:" ما نعد للنساء أمرا" وفي رواية الطيالسي:" كنا لا نعتد بالنساء ولا ندخلهن في أمورنا")٢١.

وحتى نعرف الفارق بين المرأة قبل الإسلام والمرأة بعده يكفينا أن نقرأ هذه الرواية التي أوردها الإمام أحمد في مسنده(عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شَيْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ **مَا لَنَا لَا نُذْكَرُ فِي الْقُرْآنِ كَمَا يُذْكَرُ الرِّجَالُ** ؟ قَالَتْ: فَلَمْ يَرُعْنِي مِنْهُ يَوْمًا إِلَّا وَنِدَاؤُهُ عَلَى الْمِنْبَرِ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ " . قَالَتْ: وَأَنَا أُسَرِّحُ رَأْسِي، فَلَفَفْتُ شَعْرِي، ثُمَّ دَنَوْتُ مِنَ الْبَابِ، فَجَعَلْتُ سَمْعِي عِنْدَ الْجَرِيدِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [الأحزاب: ٣٥] " هَذِهِ الْآيَةَ . قَالَ عَفَّانُ: {أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} (٣) [الأحزاب: ٣٥])٢٢ نجد أن هذا التحول من امرأة لا تعرف لها حقا إلى امرأة تسأل عن لماذا لم تذكر في القرآن الكريم كما يذكر الرجال؟ فما أعظم حق القرآن على البشرية.

لم يكن للمرأة صوت مسموع في مجامع الرجال فما يعرف عنها خبر إلا واتصل بالخدور وما وراء الستور إلى أن جاء الوحي الشريف الذي رفع البشرية إلى آفاق أسمى مما كانت عليه فجعل صوت المرأة مسموعا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ الحق إلى غير ذلك مما جاءت به الشريعة المطهرة، وجعل كلمتها – التي تصيب الحق – تمضي على أعز الرجال وأشجعهم،(عَنْ أَبِي النَّضْرِ –مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ– أَنَّ أَبَا مُرَّةَ –مَوْلَى أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ– أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أُمَّ هَانِئٍ بِنْتَ أَبِي طَالِبٍ تَقُولُ: ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – عَامَ الْفَتْحِ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ، قَالَتْ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟». فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ. فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ». فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، قَامَ فَصَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ، مُلْتَحِفًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، **زَعَمَ ابْنُ أُمِّي أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلاً قَدْ أَجَرْتُهُ** فُلاَنَ بْنَ هُبَيْرَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –: «**قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ**». قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ: وَذَاكَ ضُحًى).قال الإمام ابن المنذر:(وأجمعوا على أن أمان المرأة

٢١–فتح الباري لابن حجر ٢١٧/٩

٢٢– قال الشيخ شاكر: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح ،مسند أحمد ط الرسالة (٤٤/ ١٩٩)

جائز)٢٣ هذه المكانة التي بلغتها المرأة في دين الله تعالى أهلتها لأن تأمر الرجل بالمعروف وتنهاه عن المنكر قال تعالى {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ٧١] وأوجبت عليها أن تكون ردءا للرجل في دعوته إلى الله عز وجل.

المبحث الأول:دعوة الزوجين لبعضهما البعض:

وقد أطلت الحديث في هذا المبحث لعدة أمور:-

١- لأن عدد الأحاديث التي تتعلق به في الصحيح أكثر من غيره من المباحث.
٢- ولما له من أهمية في حياة الداعية إذ أن حياته مع زوجه إذا استقامت استقامت تعاملاته مع الناس.
٣- وإذا استقام كلاهماعلى الصراط السوي قدما قدوة حسنة تحمل الناس على فعل الخيرات وترك المنكرات.
٤- كما أن عددا من الناس يمضي حياة مع زوجه بعد الزواج أكثر مما يمضي مع والديه.

وقد تناولت دعوة الزوجين لبعضهما البعض في عدة نقاط:

١-صفات الزوج الصالحة:

الأسرة الأنموذج التي تكون في موضع القدوة لابد أن تتحلى بعدة صفات ، عدّدها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه الإمام البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -

٢٣- وأما اختلافهم في أمان المرأة فسببه اختلافهم في مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام: "قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ" وقياس المرأة في ذلك على الرجل وذلك أن من فهم من قوله عليه الصلاة والسلام: "قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ" إجازة أمانها لا صحته في نفسه وأنه لولا إجازته لذلك **لم يؤثر قال: لا أمان للمرأة إلا أن يجيزه الإمام** ومن فهم من ذلك أن إمضاءه أمانها كان من جهة أنه قد انعقد وأثر لا من جهة أن إجازته هي التي صححت عقده قال: أمان المرأة جائز وكذلك من قاسها على الرجل ولم ير بينهما فرقا في ذلك أجاز أمانها ومن رأى أنها ناقصة عن الرجل لم يجز أمانها وكيفما كان فالأمان غير مؤثر في الاستعباد وإنما يؤثر في القتل الإجماع لابن المنذر (ص: ٦٤) بداية المجتهد (١/ ٣٨٣

رضي الله عنه – عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ:(تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، **فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ)**٢٤.

(لمالها: لأنها إذا كانت صاحبة مال لا تلزم زوجها بما لا يطيق ولا تكلفه في الإنفاق وغيره)٢٥.

(ولحسبها بفتح المهملتين ثم موحدة أي: شرفها، والحسب في الأصل: الشرف بالآباء وبالأقارب، مأخوذ من الحساب لأنهم كانوا إذا تفاخروا عدوا مناقبهم ومآثر آبائهم وقومهم وحسبوها، فيحكم لمن زاد عدده على غيره، وقيل: المراد بالحسب هنا: الفعال الحسنة، وقد وقع في مرسل يحيى بن جعدة عند سعيد بن منصور:" على دينها ومالها وعلى حسبها ونسبها" وذكر النسب على هذا، تأكيد، ويؤخذ منه: أن الشريف النسيب يستحب له أن يتزوج نسيبه إلا إن تعارض نسيبه غير دينة وغير نسيبة دينة فتقدم ذات الدين، وهكذا في كل الصفات)٢٦.

(واختلفوا في معنى :"تربت يداك"، فقيل: هو دعاء في الأصل، إلا أن العرب تستعملها للإنكار والتعجب والتعظيم والحث على الشيء، وهذا هو المراد به ههنا)٢٧.يذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – الصفات التي لأجلها يرغب الرجال في نكاح النساء؛ وهي المال والجمال والحسب والدين، وكلها لا تغني عن صاحبتها شيئا إن رق دينها ، وإذا اجتمعت مع الدين كان الفوز العظيم.

اختار النبي – صلى الله عليه وسلم – زوجاته اختيارا يتوافق مع الفطره السليمة والعقل الرشيد، ويراعي الصفات التي ينبغي توافرها في امرأة يتحمل زوجها عبء تنوء به الجبال ،وبزواج الواحدة منهن بالنبي – صلى الله عليه وسلم –نالت شرفا عظيما ومنزلة عالية مقابل ما تحملته من واجبات ، ذكرها الله تعالى في كتابه فقال:{ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ

---

٢٤ – صحيح البخاري كتاب النكاح باب الأكفاء في الدين صـ٩١٠

٢٥– عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٢١/٢٠

٢٦– فتح الباري لابن حجر ٩/ ٤١

٢٧– عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٠/ ١٢١، ١٢٢

وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} [الأحزاب: ٣٠ – ٣٤] وقد كانت حياته صلى الله عليه وسلم معهن حياة النبي الكريم والزوج الحبيب.

٢–وصف زوج الداعية من أحواله ما يدل على قيامه بأمر الله تعالى:

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ – رضى الله عنها – أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ – رضى الله عنه – سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْىُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – « أَحْيَانًا يَأْتِينِى مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ – وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَىَّ – فَيُفْصَمُ عَنِّى وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِىَ الْمَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِى فَأَعِى مَا يَقُولُ » . قَالَتْ عَائِشَةُ رضى الله عنها: **وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْىُ فِى الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا.**

وصفت أم المؤمنين عائشة – رضوان الله عليها– أحواله – صلى الله عليه وسلم – في غير ما موضع من السنة، وذلك يشعر بأهمية نقل الزوج للأحوال الصالحة لزوجها ليقتدي به الآخرون، أو نقل الشدائد التي تعرض لها النبي – صلى الله عليه وسلم – ليعرف ثباته على الحق وتحمله – صلى الله عليه وسلم – لعظائم الأمور في سبيل الحق، فإلى أي حد كانت ترتفع حرارته – صلى الله عليه وسلم – حتى يسيل عرقه من على جبينه في يوم شديد البرد.

وفارق كبير بين حديث رجل عن نفسه أو حديث أهله عنه ابتغاء طلب الثناء الحسن من الناس وبين ذكر فضل الله تعالى على العبد ومعونته سبحانه للعبد ليقوم بشئ من الواجب عليه نحو ربه ونحو الخلق، فإن ذكر هذا الجانب من حياة الداعية:

أ–يحفز الآخرين على الاقتداء به.

ب– وليكون خير مثال للمبادئ التي يدعو إليها.

ج- وفيه كذلك تأريخ لحياة الداعية.

د- ودليل على إمكانية تطبيق المبادئ الحقه.

هـ-وهناك أحوال خاصة للداعية لا يطلع عليها إلا أهله وبنقلها تُعلم، وتعم الفائدة ، منها ما روته أم المؤمنين عَائِشَةَ - زَوْجِ النَّبيَّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّ النَّبيَّ - صلى الله عليه وسلم - **كَانَ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ** بَدَأَ فَغَسَلَ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ يُدْخِلُ أَصَابِعَهُ فِي الْمَاءِ، فَيُخَلِّلُ بِهَا أُصُولَ شَعَرِهِ، ثُمَّ يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ غُرَفٍ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ يُفِيضُ الْمَاءَ على جِلْدِهِ كُلهِ)٢٨.

و عَنْ مَيمُونَةَ- زَوْجِ النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَتْ: تَوَضَّأَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ غَيْرَ رِجْلَيهِ، وَغَسَلَ فَرْجَهُ، وَمَا أَصَابَهُ مِنَ الأَذَى، ثُمَّ أَفَاضَ عَلَيْهِ الْمَاءَ، ثمَّ نَحَّى رِجْلَيْهِ فَغَسَلَهُمَا، **هذِه غُسْلُهُ مِنَ الْجَنَابَةِ)**٢٩. أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وكذلك أم المؤمنين ميمونة يصفان حالة من الأحوال الخاصة به - صلى الله عليه وسلم - التي لا يطلع عليها إلا هما ومن في حكمهما وهما بذلك يعطيان درس لزوجة الداعية أن تصف من أحواله الخاصة ما يكون في موضع القدوة.

ز-وفيه صورة لما ينبغي لزوج الداعية أن تقوم به في أوقات الخطوب، وقد نعمت أزواجه صلى الله عليه وسلم بالقرب منه - صلوات الله وسلامه عليه - ونقلن من أحواله الشريفة ما ينير للمسلم طريقه إلى الله تعالى وقمن كذلك بما يجب عليهن نحوه - صلى الله عليه وسلم - من كونهن سكننا ومودة ورحمة عَنْ عُقَيْلٍ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَجَئِثْتُ مِنْهُ٣٠ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ، **فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ:**

٢٨- صحيح البخاري كتاب الغسل باب الوضوء قبل الغسل صـ٤٦

٢٩- صحيح البخاري كتاب الغسل باب الوضوء قبل الغسل صـ٤٦

٣٠- "فجُئِثْتُ منه" بالجيم ثمَّ همزة مكسورة بعدها مثلثة ، قَالَ القاضي: كذا هو للكافة في الصحيحين، ولبعضهم بجيم ثمَّ مثلثتين قَالَ: ومعناها فرعبت منه ، وفي بعض الروايات: ("حتَّى هويت إلى الأرض") أي: سقطت، أخرجها مسلم ، وفي بعضها "فأخذتني رجفة" وهي كثرة الاضطراب، والمعنى في كلها متقارب. التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢/ ٣١٠)

زَمِّلُونِي. زَمِّلُونِي. فَزَمَّلُونِي فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ } إِلَى قَوْلِهِ: {فَاهْجُرْ}» -قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَالرِّجْزَ: الأَوْثَانَ- «ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ»)٣١

إن أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- هي السكن بمعناه الحقيقي الذي قال الله عنه:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم: ٢١] وهي اللباس الذي وصفه الله تعالى،بقوله{هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} [البقرة: ١٨٧] لقد كان وقع رؤية جبريل – عليه السلام – على النبي – صلى الله عليه وسلم- شديدا حتى قال:" فَجَئِثْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ" لكنه ما وجد أسكن لفؤاده من بيت يضم زوجا هي السكن كله والمودة كلها والرحمة كلها لذلك عاد لبيته،واستقبلته أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها- بما يهدء روعه قال صلى الله عليه وسلم :"**فَجِئْتُ أَهْلِي** فَقُلْتُ: "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي"، **فَزَمَّلُونِي**".

٣-إطلاع الزوجة على ما يخاف منه إن كانت ذات رأي سديد:

قد يلقى الداعية في حياته ما يقلقه وهو بحاجة آنئذ إلى من يهون عليه الشدة ويبشره بانقضائها وبأن عاقبتها خير ولا يقوم بهذه المهمة خير قيام أفضل من زوجة شفوق على زوجها آتاها الله الحكمة فهي تنتفع بها وتنفع زوجها وبنيها والناس من حولها، يفزع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عندما قابل جبريل عليه السلام للمرة الأولى فيصيبه ما يصيب البشر عندما يرون مخلوقا لم يروه من قبل، نقل الإمام بن حجر رواية أبي الأسود عن عائشة قالت: (ورأى جبريل له جناحان من ياقوت يختطفان البصر٣٢)٣٣. فرؤية الأجنحة المتلألأة التي تخطف الأبصار شئ مهول، ويضاف إلى ذلك الصورة الضخمة التي رأها النبي – صلى الله عليه وسلم – لجبريل -عليه السلام- كماجاء في السيرة التي جمعها سليمان التيمي:(أن جبريل أتى النبي – صلى الله عليه و سلم- في حراء وأقرأه {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: ١] ثم انصرف

٣١- صحيح البخاري كتاب بدأ الخلق باب إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ آمِينَ . وَالْمَلاَئِكَةُ فِى السَّمَاءِ ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ صـ٥٣٨

٣٢- وهذا من رواية بن لهيعة عن أبي الأسود وبن لهيعة ضعيف وقد ثبت في صحيح مسلم من وجه آخر عن عائشة مرفوعا مايقوي هذه الرواية فتح الباري بتصرف ٢٨/١، ٢٩

33- فتح الباري لابن حجر ١/ ٢٨

فبقي مترددا فأتاه من أمامه في صورته فرأى أمرا عظيما)٣٤ و مما يضفي على الموقف رهبة كذلك، الحوار الذي دار بين النبي – صلى الله عليه وسلم – وبين جبريل وغط جبريل عليه السلام للنبي – صلى الله عليه وسلم – وقد فسر الإمام بن حجر رحمه الله تعالى الغط بأنه: الضم والعصر وكذلك حبس النفس أو الخنق" وهو أمر بلغ الغاية وضح ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم:" حتى بلغ مني الجهد" وقد بقيت هذه المشاعر مصاحبة للنبي – صلى الله عليه وسلم – حتى نزل من غار حراء إلى بيته بمكة، وهي مسافة غير قصيرة(فرجع بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال زملوني زملوني)٣٥ وقوله صلى الله عليه وسلم ("لقد خشيت على نفسى" ، يدل أنه من نزلت به ملمة أن له أن يشارك فيها من يثق بنصحه ورأيه)٣٦ لكنه –صلى الله عليه وسلم – لم يحبس هذه المخاوف بل صرح بها لزوجة عاقلة أريبة لها قلب كبير وعقل راجح وتعين زوجها بكل ما تملك من عاطفة وعقل وحكمة ورأي وخبرة بالحياة والأحياء.

كشف النبي صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله عنها بقوله :" لقد خشيت على نفسي" ما أصابه – صلى الله عليه وسلم – من خوف شديد.

وهذا يدل على أهمية اختيار الزوجة العاقلة الحكيمة؛ فالشاب يبحث عن الجمال في شريكة حياته، وإن ارتقى به الحال بحث عن التوافق بينه وبين شريكة المستقبل وركن الأسرة الثاني، لكن العقل والحكمة كثيرا ما يغيبان أو يتأخران ليجني الداعية ثمرات صعبة في المواقف التي يبحث فيها عن ركن شديد فإذا به يؤي إلى جرف هار، ليواجه ما أهمّه وحيدا في الميدان أو شاكيا همّه لمن يستخدمه فيما بعد سلاحا ضده، وليعود إلى بيته فيجد من لا يشعر به أو يشاركه الهم، و لا يملك رأيا راشدا أو عزما يعينه على إمضاء ما عقد عليه عزمه.

٣٤- فتح الباري لابن حجر ٢٩/١

٣٥- فتح الباري لابن حجر ٢٩/١

٣٦- شرح صحيح البخارى. لابن بطال ١/ ٣٨

وكان من تمام الحكمة أنها لم تسأله عن شئ حتى هدأت نفسه، قال الإمام بن بطال : (ولم يخبر بشيء حتى ذهب عنه الروع ، فيه دليل : أنه لا يحب أن يسأل الفازع عن شيء من أمره ما دام فى حالة فزعه)٣٧

واستمع إلى هذه الدرر التي يفتر عنها ثغر السيدة خديجة رضي الله عنها وهي تقول بلهجة حاسمة:" كلا والله ما يخزيك الله أبدا" ولم تطلق ذلك عبارة مرسلة بلا بينة ولا هدى بل قالت: (إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِى الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ) وصفته بأصول مكارم الأخلاق وقد دلت التجارب أن من اتصف بهذه الصفات لا يذل بين الناس.

ولم تكتف بحكمها ورأيها في طمأنة النبي – صلى الله عليه وسلم – بل أرادت أن تضم إلى ذلك رأي أهل العلم بالديانات، فحملته إلى ورقة بن نوفل وقد كانت له عدة صفات تجعل منه الحكم الرشيد ذا الرأي السديد :

أولاها:أن ورقة قريب لخديجة – رضي الله عنها – وقريب للنبي – صلى الله عليه وسلم – ويبعد أن يُضل القريب قريبه في بيئة تقوم على العصبية للقريب حتى قال قائلهم:" انصر أخاك ظالما أو مظلوما"٣٨

وثانيها:أنه تنصّر في الجاهلية يقول بن حجر:(وكان لقي من بقي من الرهبان على دين عيسى ولم يبدل، ولهذا أخبر بشأن النبي – صلى الله عليه و سلم – والبشارة به، إلى غير ذلك مما أفسده أهل التبديل.)٣٩ وهو الإنسان الذي سبر أغوار النصرانية (فكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانيه ما شاء الله أن يكتب)٤٠(وهذا من قوة تمكنه في دين النصارى

٣٧- شرح صحيح البخارى. لابن بطال ١/ ٣٨

٣٨- أُنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوْماً : مذهب العرب في هذا وجوب نصرته في كل حال وأول من قاله جندب بن العنبر بن تميم وذلك أنه وسعد بن زيد مناة كانا يتفاخران يوما ويتذاكران شجاعتهما فقال له سعد لتأخذنك ظعينة بني الضربة ولقد أخبرني طيري أن لا يعتقك غيري ثم إن جندبا أتى فى بعض متصيداته على أمة فوثب عليها ليفترعها فقبضت على يديه بيد واحدة وربطته بعنان فرسه وأراحت غنمها فمرت به على سعد فاستغاثه وخاطبه بذلك فأطلقه المستقصى في أمثال العرب (١/ ٣٩٢)

٣٩- فتح الباري لابن حجر ٣١/١

٤٠- صحيح البخاري كتاب بدأ الوحي باب كيف كان بدأ الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ص١

ومعرفة كتابتهم كان يكتب من الإنجيل بالعبرانية إن شاء وبالعربية إن شاء).٤١(وفي رواية يونس ومعمر:"ويكتب من الإنجيل بالعربيه" ولمسلم:" وكان يكتب الكتاب العربي" والجميع صحيح ،لأن ورقه كان يعلم اللسان العبراني والكتابة العبرانيه فكان يكتب الكتاب العبراني كما كان يكتب الكتاب العربي لتمكنه من الكتابين واللسانين).[٤٢]

وثالثها:أنه جمع إلى العلم بدين النصارى خبرة بالحياة، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها:" وكان شيخا كبيرا قد عمي".

اجتمعت هذه المقومات في شخصية ورقة بن نوفل لتخرج حكما صائبا صدقته الأيام وكان قوله فصل الخطاب ، فما رآه النبي صلى الله عليه وسلم، وحي من الله وهو النبي المنتظر وسيلقى ما لقى من سبقه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وهنا نلمح سعة أفق السيدة خديجة فقد طمئنت النبي – صلى الله عليه وسلم – بما تملك من خبرة وعقل، ثم ذهبت به إلى صاحب العلم والحكمة الذي يمكن أن تأتمنه على أمر كهذا، وكان ورقة عند حسن الظن به فاستجلى حقيقة الأمر، وقدم رأيه المبني على علم فكان الرأي السديد والحكم الرشيد.

٤-إظهار محبة الداعية لزوجه: وقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يبادل زوجاته – رضوان الله عليهن – حبا بحب ويعلن عن ذلك ولا يخفيه ،فعَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ – رضي الله عنه – أَنَّ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلاَسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: **أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ».** فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا». قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ». فَعَدَّ رِجَالاً)٤٣.

وفي إعلان هذا الحب توثيق لروابط المودة والسكن والبعض يخفيه ولا يبديه وينبغي أن يكون هذا الحب باديا في كل تصرف وإذا كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يوصي من يحب أخاه أن يعلمه كما روى الإمام الترمذي في سننه عَنْ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ

٤١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١/ ٩٧

٤٢-عمدة القاري ١/١٠٠

٤٣-صحيح البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب صـ٦١٤

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ إِيَّاهُ»٤٤ فما بالنا بالزوجة التي لها حقوق أكثر من غيرها هذا الإعلان يجبر ما يحدث من نقص أو تقصير كما أنه يقطع الطريق على من يسعون للتفريق بين المتحابين.

وقد كان حبه – صلى الله عليه وسلم – حبا صادقا في الحضور والغيبة بل في الحياة وبعد الممات، فهذه أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – أحبها النبي – صلى الله عليه وسلم – ولم ينقطع حبه لها حتى بعد وفاتها رضوان الله عليها ، يدل على ذلك عدة أحاديث رواها الإمام البخاري منها ما أورده عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ لِلنَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ – هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي– **لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا**، وَأَمَرَهُ الله أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ[٤٥]، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدِى فِي خَلاَئِلِهَا مِنْهَا مَا يَسَعُهُنَّ٤٦.وفي رواية أخرى: (فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةُ! فَيَقُولُ: "**إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ**"٤٧.

(قوله:"إنها كانت" أي: أن خديجة كانت وكانت أي كانت فاضلة وكانت عاملة وكانت تقية ونحو ذلك، قوله:" وكان لي منها" أي: من خديجة ولد و جميع أولاده من خديجة إلا ابنه إبراهيم فإنه من مارية القبطية.

وقال النووي: وفي هذا الحديث ونحوه دلالة لحسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيا وميتا وإكرام معارف ذلك الصاحب)٤٨.(قال الإمام بن حجر : (من أحب شيئا أحب محبوباته وما يشبهه وما يتعلق به)٤٩

٥-تحقيق المؤانسة:

٤٤- سنن الترمذي ابواب الزهد باب ما جاء في إعلان الحب وقال الإمام الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ (٤/ ١٧٧)

[٤٥]- قال الهروي:" أراد بشرها بقصر من زمردة مجوفة، أو لؤلؤة مجوفة" التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٢/ ٢٥٣)

٤٦- صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها صـ٦٤١

٤٧- صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها صـ٦٤١

٤٨- عمدة القاري شرح صحيح البخاري٣٨٥/١٦

٤٩- فتح الباري لابن حجر ١٦٥/٧

وقد كان – صلى الله عليه وسلم – يؤدي حق ربه وحق نفسه وحق أهله ؛فنراه – صلوات الله وسلامه عليه – يصلي لربه قائما وقاعدا، وبعد أن يفرغ من صلاته ، انظر إلى رقة مشاعره – صلى الله عليه وسلم – وهو يتفقد السيدة عائشة – رضي الله عنها – ؛فإن وجدها يقظى آنسها بحديثه – صلى الله عليه وسلم – وما أعذب حديثه – صلى الله عليه وسلم – ،وإن كانت نائمة اضطجع، وفي هذا من دوام الألفة ما فيه، وفيه كذلك من تحقيق العدل والتوازن بين الواجبات.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ – رضى الله عنها – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – كَانَ يُصَلِّى جَالِسًا فَيَقْرَأُ وَهْوَ جَالِسٌ ، فَإِذَا بَقِىَ مِنْ قِرَاءَتِهِ نَحْوٌ مِنْ ثَلاَثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ آيَةً قَامَ فَقَرَأَهَا وَهْوَ قَائِمٌ ، ثُمَّ يَرْكَعُ ثُمَّ يَسْجُدُ ، يَفْعَلُ فِى الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَإِذَا قَضَى صَلاَتَهُ نَظَرَ ، **فَإِنْ كُنْتُ يَقْظَى تَحَدَّثَ مَعِى** ، وَإِنْ كُنْتُ نَائِمَةً اضْطَجَعَ)٥٠

وقد كان إيناس أمهات المؤمنين من دأبه – صلى الله عليه وسلم – وبه تقع المحبة و تحصل الألفة ويزول الكدر الذي يرسب في النفس من آثار المصاعب التي يلاقيها المرء في يومه، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: بِتُّ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ لَيْلَةً وَالنَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – عِنْدَهَا؛ لأَنْظُرَ كَيْفَ صَلاَةُ رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – بِاللَّيْلِ، **فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَقَدَ**، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ أَوْ بَعْضُهُ قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَرَأَ: " {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} " إِلَى قَوْلِهِ: " {لأُولِي الأَلْبَابِ} [آل عمران: ١٩٠] " ثُمَّ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنَّ٥١، ثُمَّ صَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ أَذَّنَ بِلاَلٌ بِالصَّلاَةِ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى لِلنَّاسِ الصُّبْحَ)٥٢.

نجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يحدث أهله قبل أن يرقد ولنا فيه – صلى الله عليه وسلم – الأسوة الحسنة، فتبادل الكلمات الطيبة والعبارات اللطيفة – بعد نهاية يوم ملئ بالعناء والأعمال – يداوي ما عسى أن يكون وقع من جراح، ويلطف ما يمكن أن يكون وقع من عنف، وليخلد الجسد إلى الراحة والذهن صاف إلا من ذكريات سعيدة تداعب خيالها الروح،

٥٠– صحيح البخاري كتاب تقصير الصلاة باب إذا صلى الصبح قاعدا ثم صحّ أو وجد خفة تمم ما بقى ص١٧٩

٥١– قال الجوهري: استن بمعنى: استاك التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٣/ ٣٦٢)

٥٢– صحيح البخاري كتاب التوحيد باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرها من الخلائق.

فيستيقظ المرء وقد استعاد بدنه العافية والنشاط ليواصل سيره إلى الله تعالى ،ممتلئ بالهمة والرجاء في الله تعالى وفي غد خير من اليوم ،هذه الكلمات التي يؤنس بها الإنسان أهله تقوي حبال الود وتوثق روابط المحبة٥٣. ف(الحوار بين الزوجين يشكل الحبل السري الذي تتغذى منه السعادة الزوجية، وهو مهم ليس لحل المشكلات ولكن لمنع وقوع المشكلات فمن الواضح أن المرأة تكره الركود في الحياة الزوجية وتريدها موارة بالحركة والتواصل والأخذ والعطاء والحوار وإذا أحست بأن شيئا من هذا هو دون المستوى المطلوب فإنها على استعداد لافتعال مشكلة من نوع ما حتى تعيد الحيوية للحياة المشتركة.

الحوار في نظر المرأة لمسة حنان تنتظرها من زوجها ولهذا كله فالمهم أن يتحادث الزوجان ويتسامرا ويشكو كل واحد منهما للآخر ويطلب مشورته في بعض ما يعنيه)٥٤

٦- داء الغيرة ودوائها:

شرح الله تعالى صدر نبيه – صلى الله عليه وسلم – فكان يتحمل من الأعباء ما لا يتحمله غيره، ومن دلائل عظمته ومواضع التأسي في حياته – صلى الله عليه وسلم – معالجته لغيرة النساء؛ تلك الغيرة التي تفسد الحياة الزوجية وقد تصل إلى الطلاق، وهي داء عضال يحتاج إلى طبيب حاذق ، بصير بالنفوس، متحل بالصبر، مستمسك بالحق، يعفو عن الهفوات ،ويتجاوز عن الزلات، ويقوّم ما أمكنه التقويم، وبذلك تكمل الأسرة مسيرتها ونحافظ على بنيانها.

(الغيرة فطرة مبدؤها فكرة ،مثل جرثومة المرض فهي تلتهم العواطف وتحرقها، وتذهب بالنوم والراحة والعقل، وتعرض لقالة السوء في غير حالات الريبة ،وتفسد ما بين المحبين، وجراثيم الغيرة كثيرة؛ كالشك وسوء الظن ونقص الثقة وفتور العلاقة والانشغال عن الزوجة وكثرة

٥٣- لم يذكر ابن عباس في الحديث السابق صلاة خالته ميمونة – رضي الله عنها – إذ قد يكون عندها عذر شرعي يمنعها من الصلاة أو أن غرضه ذكر ما يتعلق بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم لا بأحوال أهله ولذلك قال:" بِتُّ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ لَيْلَةً وَالنَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – عِنْدَهَا؛ لأَنْظُرَ كَيْفَ صَلاَةُ رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – بِاللَّيْلِ". لكن في حديث آخر تذكر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوقظها، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – يُصَلِّي وَأَنَا رَاقِدَةٌ مُعْتَرِضَةً عَلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُوتِرَ أَيْقَظَنِي فَأَوْتَرْتُ) صحيح البخاري أبواب الوتر باب إِيقَاظِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – أَهْلَهُ بِالوِتْرِ ص١٦٠.وربما تكون قد أخذت حظها من صلاة الليل قبل أن تنام.

٥٤-كيف نحمي أسرنا من التفكك د/عبد الكريم بكار ص٦٤

الإعجاب بالآخرين، والغيرة المحمودة شعور نبيل وبلسم شاف لكثير من جوانب القصور لدى المرأة، إن استطاعت أن ترضي شريكها، وربما ألهبت العاطفة وتطاير الشرر وتصاعد الدخان فانعدمت الرؤية وساد الضباب وانطلق القلب وراء السراب يطلب ماء يطفئه أو نورا يبصره، حقيقة لن يجد الماء ماء ولن يبصر النور نورا، لن يجد الماء إلا نفطا يحرقه أو بحرا يغرقه.. وهكذا تسير حياة من أسلم قلبه لظنه وشكه وكان عقله عبدا لقلبه وامتطى جواد هواه يركض خلف سراب بقيعة).٥٥

وفي الصحيح عدة مواضع لغيرة نساء النبي – صلى الله عليه وسلم– تلقاها النبي – صلى الله عليه وسلم – بصدر رحب، و الغيرة نار تشتعل في جوف صاحبتها حتى تدفعها إلى ما لا يليق من الكلام، فنجد السيدة زينب بنت جحش – رضي الله عنها – تصنع ما وصفته السيدة عائشة – رضي الله عنها – فيما رواه البخاري قال:(فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ ، **فَأَتَتْهُ فَأَغْلَظَتْ** ، وَقَالَتْ إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللَّهَ الْعَدْلَ فِى بِنْتِ ابْنِ أَبِى قُحَافَةَ . **فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا** ، حَتَّى تَنَاوَلَتْ عَائِشَةَ)٥٦ فنجد من السيدة زينب – رضوان الله عليها – إغلاظا في القول ورفعا للصوت وتناولا للسيدة عائشة رضي الله عنها ،وهذا مما يشعل حرارة الغضب في الصدر لكن النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو البصير بطبائع البشر، يعذر صاحبتها ويعطي الفرصة للسيدة عائشة – رضي الله عنها – أن تسترد حقها الذي نالت منه الغيرة، عَنْ عَائِشَةَ – رضى الله عنها – ☹أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – كُنَّ حِزْبَيْنِ؛ فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسَوْدَةُ ، وَالْحِزْبُ الآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – عَائِشَةَ ، فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةٌ يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – أَخَّرَهَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فِى بَيْتِ عَائِشَةَ بَعَثَ صَاحِبُ الْهَدِيَّةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فِى بَيْتِ عَائِشَةَ ، فَكَلَّمَ حِزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ ، فَقُلْنَ لَهَا:" كَلِّمِى رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يُكَلِّمُ النَّاسَ ، فَيَقُولُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِىَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – هَدِيَّةً فَلْيُهْدِهِ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ" ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ ، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا ، فَسَأَلْنَهَا، فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِى شَيْئًا . فَقُلْنَ لَهَا: فَكَلِّمِيهِ . قَالَتْ: فَكَلَّمَتْهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضًا ، فَلَمْ

٥٥– سألوني عن نيران الغيرة لدى النساء مجموعة من الكتاب الناشر دار وجوه للنشر والتوزيع الأولى

٥٦– صحيح البخاري كتاب الهبة باب من أهدى إلى صاحبه و تحرى بعض نسائه دون بعض صـ ٤١٧

يَقُلْ لَهَا شَيْئًا ، فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِى شَيْئًا . فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِيهِ حَتَّى يُكَلِّمَكِ . فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ . فَقَالَ لَهَا: "لاَ تُؤْذِينِى فِى عَائِشَةَ ، فَإِنَّ الْوَحْىَ لَمْ يَأْتِنِي ، وَأَنَا فِى ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلاَّ عَائِشَةَ" . قَالَتْ: فَقَالَتْ أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَأَرْسَلْنَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – تَقُولُ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللَّهَ الْعَدْلَ فِى بِنْتِ أَبِى بَكْرٍ . فَكَلَّمَتْهُ . فَقَالَ:" يَا بُنَيَّةُ ، أَلاَ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ" . قَالَتْ: بَلَى . فَرَجَعَتْ إِلَيْهِنَّ ، فَأَخْبَرَتْهُنَّ . فَقُلْنَ: ارْجِعِى إِلَيْهِ . فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ ، فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ ، فَأَتَتْهُ فَأَغْلَظَتْ ، وَقَالَتْ إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللَّهَ الْعَدْلَ فِى بِنْتِ ابْنِ أَبِى قُحَافَةَ .

فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا ، حَتَّى تَنَاوَلَتْ عَائِشَةَ . وَهْىَ قَاعِدَةٌ ، فَسَبَّتْهَا حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – لَيَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ هَلْ تَكَلَّمُ؟! قَالَ: فَتَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ تَرُدُّ عَلَى زَيْنَبَ ، حَتَّى أَسْكَتَتْهَا . قَالَتْ: فَنَظَرَ النَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم – إِلَى عَائِشَةَ ، وَقَالَ:" إِنَّهَا بِنْتُ أَبِى بَكْرٍ")٥٧

(قال الداودي: "وفيه عذر النبي – صلى الله عليه و سلم – لزينب"، قال بن التين:" ولا أدري من أين أخذه"، قلت: كأنه أخذه من مخاطبتها النبي – صلى الله عليه و سلم – لطلب العدل مع علمها بأنه أعدل الناس، لكن غلبت عليها الغيرة فلم يؤاخذها النبي – صلى الله عليه و سلم – بإطلاق ذلك).٥٨ وذلك (أن المغيرة في النساء مسموح لهن فيها، وغير منكرة من أخلاقهن ولا معاقب عليها وعلى مثلها؛ لصبره – عليه السلام – لسماع مثل هذا من قولها، ألا ترى قولها: "ما أرى ربك إلا يسارع في هواك". ولم يرد ذلك عليها ولا زجرها وعذرها؛ لما جعل الله في فطرتها من شدة المغيرة)٥٩.

كانت نساء النبي – صلى الله عليه وسلم – يغرن من عائشة – رضي الله عنها – وكانت عائشة – رضي الله عنها – تغار من خديجة رضي الله عنهن جميعا ،عَنْ عَائِشَةَ – رضى الله عنها – قَالَتِ اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاعَ لِذَلِكَ ، فَقَالَ « اللَّهُمَّ هَالَةَ » . قَالَتْ: **فَغِرْتُ**، فَقُلْتُ: مَا

٥٧- صحيح البخاري كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه ص٤١٧

٥٨- فتح الباري لابن حجر ٢٤٦/٥

٥٩- التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٥/ ٦٧)

تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ ، حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ٦٠ ، هَلَكَتْ فِى الدَّهْرِ ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا)٦١

(كم تحاصرك الدهشة وأنت تتأمل – قارئاً – اعتراض عائشة الذي لم يكن تلميحاً نسائياً تستفز فيه زوجة مشاعر زوجها وحسب ! بيد أنه تصريح يبدو لك منه حجم الاندفاع القوي الذي حرم المرأة حتى رهافة حسها ، ورقة لفظها تلك اللحظة !

ولو كانت هذه الكلمات : (عجوز ، هلكت ، خيراً منها) قيلت عن امرأة حية يغدو إليها الرسول – صلى الله عليه وسلم – ويروح ، بحيث تشتد وطأة الغيرة بين المرأتين لتبددت دهشتك ! لكن أن تتفوه أم المؤمنين بهذه الكلمات عن امرأة ماتت !

والميت كما تعي عائشة أشد حرمةً من الحي ! فإنّ هذا يشير إلى أنها لمست من الطرف الآخر ليناً وسماحة ورحابة أفق وفهم بعيد وعميق لنفسية المرأة وفطرتها !

ممّا قد يشعرك بحجم الأمن العاطفي الذي كانت عائشة – رضي الله عنها– تعيش في ظلاله في بيت الدعوة والعلم والنبوة !)٦٢

وقد دعا النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى تحمل ما يصدر عن المرأة،(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ، إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ»٦٣.

يقول الإمام ابن الملقن:(هذا الحديث ثبت بألفاظ أخر، ففي لفظ: "فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرًا"، وفي آخر عند مسلم: "لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها

٦٠– والذي يتبادر ان المراد بالشدقين ما في باطن الفم فكنّت بذلك عن سقوط أسنانها حتى لا يبقى داخل فمها إلا اللحم الأحمر من اللثة وغيرها فتح الباري لابن حجر ٧/ ١٦٦

٦١– صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها صـ٦٤٠

٦٢– مجلة البيان، الأطروحات الدعوية الموجهة للمرأة المسلمة وقفة .. ودعوة للمراجعة ! فاطمة بنت عبد الله البطاح (ع/١٤٣/ رجب ١٤٢٠هـ.

٦٣– صحيح البخاري كتاب النكاح باب الْمُدَارَاةِ مَعَ النِّسَاءِ. وَقَوْلِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – «إِنَّمَا الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ».صـ٩٢٦

وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها" ، وفي لفظ لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي في "كتاب النكاح": "لن تستقيم لك المرأة على خليقة واحدة، إنما هي كالضلع، فاستمتع بها على ما كان فيها من عوج")٦٤.

(وقد عرفنا في هذا الحديث أن سياسة النساء أخذ العفو منهن والصبر على عوجهن، وأن من رام إقامة ميلهن عن الحق، وأراد تقويمهن، عُدِمَ الانتفاع بهن وتجنبهن لقوله: "إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا" ولا غنى بالإنسان عن امرأة؛ يسكن إليها، ويستعين بها على معاشه ودنياه، فلذلك قال – عليه السلام – إن الاستمتاع بالمرأة لا يكون إلا بالصبر على عوجها)٦٥. فالصلابة الدائمة من شأنها أن تولد الكسر أو التخفي؛ والكسر في أشد حالاته يصل بالزوجين إلى الطلاق أو الحياة تحت سقف واحد لكن دون تواصل ومودة ورحمة بل كالغرباء، بل أحيانا يسأل الغريب عن الغريب لكن في حالتنا هذه تتوقف أدنى درجات التواصل التي من المفترض أن تكون بين بني البشر. أما التخفي فإن النفس إذا منعت من شئ أحبته وسعت – إن لم يكن لها وازع من دين أو خلق – إلى تحصيله مهما كان تافها ومضرا، لذا فالواجب على الراعي أن يتجنب كلتا الحالتين – ما يؤدي إلى الكسر والتخفي – لأن عاقبتهما خسرا كما أن التخفي ينم عن عدم مراقبة الله تعالى، وهذا يولد النفاق وبئست الحياة حياة المنافقين.

وليس معنى المداراة السكوت عن منكر أو فاحشة فإن ذلك لا يقول به رجل، فضلا عن رجل مسلم يملك عزة المسلمين يقول الإمام ابن حجر(فيه أن شدة الوطأة على النساء مذموم لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – أخذ بسيرة الأنصار في نسائهم وترك سيرة قومه)٦٦

٧–إظهار الكراهية على الوجه إذا كان يكفي لإشعار من ينكر عليه:

ينبغي للزوج أن يبادر إلى إعلان ما في نفسه من كراهية لفعل أو قول صدر من زوجه وينبغي أن تقابل هذه المبادرة بمبادرة أخرى في إرضاء الزوج بما لا يخالف شرع الله تعالى، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – قَامَ عَلَى البَابِ، فَلَمْ يَدْخُلْهُ، **فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَةَ**، فَقُلْتُ:" يَا

٦٤– التوضيح ٥٤٨/٢٤

٦٥– التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٤/ ٥٥٣)

٦٦– فتح الباري لابن حجر ٢٢٨/٩

رَسُولَ اللهِ، أَتُوبُ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ – صلى الله عليه وسلم – مَاذَا أَذْنَبْتُ؟" فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: "مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟ ". قُلْتُ: "اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا". فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: "إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ القِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ". وَقَالَ: "إِنَّ البَيْتَ الذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ المَلاَئِكَةُ")٦٧.

هذا الحديث يبين صورة من صور التواصل بين الزوج وزوجه كما يبين وضوح الزوج ، فالزوج إذا كره ظهر ذلك على صفحة وجهه، لأن ظاهره كباطنه .

والحديث كذلك يشير إلى إدراك زوج النبي – صلى الله عليه وسلم – لحالة الرضا وحالة الغضب؛ فالسيدة عائشة – رضي الله عنها– تقول:" فعرفت في وجهه الكراهية"، ومبادرتها بالاعتذار بقولها: "أتوب إلى الله"، وكم من امرأة لا تتأثر بما يصيب زوجها من حزن أو سرور، فتراها متبلدة الإحساس جامدة المشاعر، وكم من زوج كذلك وكل هذا مما يقطع حبال الود.

وقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – صاحب صدر سليم إذا غضب عرف في وجهه الغضب وإذا رضي عرف في وجهه الرضا قَالَتْ: وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا **عُرِفَ فِي وَجْهِهِ**. قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْغَيْمَ فَرِحُوا، رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ **عُرِفَ فِي وَجْهِكَ** الْكَرَاهِيَةُ. فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ مَا يُؤْمِنِّي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؟ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا: {هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا} [الأحقاف:٢٤])٦٨ وظهور ما في القلب على صفحة الوجه دليل على سلامة الصدر ،وسلامة الصدر من أهم الشروط لحياة زوجية سعيدة تحل فيها المشكلات من أقرب طريق، ولا تترك حتى تتفاقم ويتسع الخرق على الراقع.

٨–تعاون يثمر محبة وألفة:

(الاتحاد السعيد الباقي ببقاء الحياة هو الهدف من الزواج، والوصول إليه يعتمد أساسا على درجة الاستعداد للتوافق عند كل من الطرفين، وهذا ما يجعل الزواج في الواقع هو فن العلاقات البشرية في أحسن صورها، ويعني ذلك أنه يجب أن تتعلم من الخبرات كيف تلائم بينك

٦٧– صحيح البخاري كتاب البيوع باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء صـ ٣٨٨

٦٨– صحيح البخاري كتاب التفسير باب فلما راوه عارضا مستقبل أوديتهم.صـ٨٥٤

وبين زوجتك ؟ أو كيف تلائمين بينك وبين زوجك حتى يكون هناك تعاون حقيقي في جميع صوره الجسميه والعقلية والعاطفية والروحيه، ولا يكفي أن تكون متآلفا أو متعاونا بشكل عام فحسب، ولو أن تلك الصفات التي تؤدي إلى الانسجام الاجتماعي هي نفسها التي تساعد الحياة الزوجية، ولهذا فإن الملائمة السعيدة واجبة نحو الناس جميعا ونحو الزوجة أو الزوج بالذات)٦٩.

ومن حسن العشرة كذلك التعاون بين الزوجين ،عَنِ الأَسْوَدِ قَال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: **كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ** – تَعْنِى خِدْمَةَ أَهْلِهِ– فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ)٧٠.

(لم يذكر في الحديث أنه أزاح عن نفسه هيئة مهنته)٧١ فكون الرجل يساعد أهله شئ لا يُستحى منه، ولا يُخفى عن الأنظار بل إن فعله بنية الاقتداء بالنبي – صلى الله عليه وسلم – فيه أجر إن شاء الله.

(وقول عائشة – رضي الله عنها –: "كان في مهنة أهله"، يدل على دوام ذلك من فعله متى عرض له ما يحتاج إلى إصلاحه)٧٢ هذه المساعدة الدائمة أدت إلى إتقان العمل وقد ذكر ابن حجر أقوال العلماء في قول السيدة عائشة: "كان في مهنة أهله"، فقال (وقد فسرها في الحديث بالخدمة وهي من تفسير آدم بن أبي إياس شيخ المصنف ..لكن فسرها صاحب المحكم بأخص من ذلك فقال:" المهنة الحذق بالخدمة والعمل" .. وقد وقع مفسرا في الشمائل للترمذي من طريق عمرة عن عائشة بلفظ:" ما كان إلا بشرا من البشر؛ يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه" ولأحمد وبن حبان من رواية عروة عنها:" يخيط ثوبه، ويخصف نعله" وزاد بن حبان:"

٦٩– الزواج الناجح مفتاح السعادة د/ اوستاس تشاسر صـ ١١،تعريب شوقي رياض السنورسي، ط/ مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٧٠– صحيح البخاري كتاب الأذان باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج صـ ١١٠

٧١– التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٦/ ٤٩٠)

٧٢– التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٨/ ٣٥٨)

ويرقع دلوه")٧٣ وأرى أن أداءه – صلى الله عليه وسلم – لبعض الأعمال المنزلية بدلا من أزواجه فيه من تحقيق معنى المشاركة الزوجية تحقيقا عمليا وتخفيفا عن الزوجة من عبأ العمل.

و(يقصد بالمسئولية الأسرية مجموعة من الواجبات أو الالتزامات الأسرية يقوم بها كل من الزوجين لإنجاز وظيفة أو أكثر من وظائف الأسرة في رعاية أفرادها وحمايتهم وتحقيق الأمن والاستقرار النفسي والمودة والرحمة المتبادلة بينهم).٧٤

(الأسس التي يقوم عليها توزيع المسئوليات في الأسرة المسلمة:

لم يترك الإسلام توزيع الالتزامات بين الزوجين في المسؤليات الأسرية لأهواء المسلمين حتى لا يظلم أحد الزوجين الزوج الآخر فحدد الواجبات والحقوق الشرعية الرئيسية في الزواج، وأقر ما تعارف الناس عليه في توزيع المسئوليات الأخرى في غير معصية الله، ووزع الالتزامات الزوجية والأسرية وفق الأسس الآتية:

١- التكامل بين التزامات كل من الزوجين في الأسرة؛ بحيث تكون التزامات الزوج في أية مسئولية أسرية مكملة لالتزامات الزوجة.
٢- العدل في توزيع الالتزامات الأسرية على الزوجين، فلكل منهما من الحقوق مثل الذي عليه من الالتزامات والواجبات.
٣- المساواة بين الزوجين في المصلحة أو الاستفادة من الحياة الأسرية؛ فاستفادة كل منهما من الوجود في جماعة الأسرة مساوية لاستفادة الزوج الآخر منها.
٤- لا صراع في الأسرة بين الزوجين؛ فالزوجة شقيقة الزوج ولا ضرر لأي منهما في الحياة الأسرية.
٥- مراعاة استعدادات وقدرات وميول كل من الزوجين في القيام بالمسئولية الأسرية،فتزداد التزامات الزوج في المسئوليات التي تتفق مع طبيعته الذكرية،وتزداد التزامات الزوجة في المسئوليات التي تتفق مع طبيعتها الأنثوية، فكل ميسر لما خلق له.

٧٣- فتح الباري لابن حجر ٢/ ٢٠٢

٧٤- الزواج وبناء الأسرة د/كمال إبراهيم مرسى صـ١٧٣،ط/دار القلم ،الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٦- مراعاة ما تعارف عليه الناس في المجتمع في توزيع الالتزامات الأسرية بين الزوجين بشرط: العدل، وعدم الجور، وتحقيق المصلحة المشروعة لكل منهما في الأسرة.

٧- القيام بالالتزامات الأسرية من العبادات التي ترضي الله ورسوله، فقيام الزوج بالتزاماته الزوجية والأسرية له في ذلك أجر من الله، فقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم- "اللقمة التي تضعها في في زوجتك لك في ذلك أجر من الله"[٧٥]، وقيام الزوجة بواجباتها الزوجية والأسرية يعدل الجهاد في سبيل الله، فقد قال عليه الصلاة والسلام لوافدة النساء:" حسن تبعلكن يعدل ذلك أي الجهاد في سبيل الله"[٧٦].

٨- التقصير في أداء الالتزامات الزواجية والأسرية من دون عذر مقبول، يغضب الله ورسوله؛ لأن فيه ظلما للزوج الآخر وحرمانا له فقد عبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن ذلك عندما بين للرجال:" ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم"[٧٧])٧٨

٩-الطريقة المثلى لإبلاغ الزوج لزوجه بمصاب أليم: ومن الحالات التي ينبغي للمسلم فيها أن يختار ألفاظه ويدقق فيها – وهذا واجب في كل حال – وهو دليل على حسن العشرة كذلك حالة الإبلاغ بالمصائب.

٧٥- لم أجده بهذا اللفظ ولعله يقصد قول رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلاَّ أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ. صحيح البخاري كتاب الإيمان باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ص١٣

٧٦- لم أجده بهذا اللفظ ولعله يشير إلى الحديث الذي رواه الإمام البزار في مسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قال : جاءت امرأة إلى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيه وَسَلَّم فقالت : يا رَسولَ اللهِ إني وافدة النساء إليك هذا الجهاد كتبه الله على الرجال فإن نصبوا أجروا ، وَإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ونحن معاشر النساء نقوم عليهم فما لنا من ذلك ؟ قال : فقال النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيه وَسَلَّم : أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافا بحقه يعدل ذلك وقليل منكن من يفعله.

وهذا الحديث لا نعلمه يُرْوَى عَن النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيه وَسَلَّم إلاَّ مِن هذا الوجه بهذا الإسناد ورشدين بن كُرَيب قد حَدَّثَ عَنْهُ جماعة ثقات من أهل العلم واحتملوا حديثه. مسند البزار (١١/ ٣٧٧)

٧٧- قال الإمام السيوطي عند إيراده للحديث :(الحاكم عن على ، وفيه إبراهيم بن محمد الأسلمى تركوه ووثقه الشافعى وحده وقد اعتذر عنه ابن حبان ، وقال الذهبى الجرح مقدم)،أخرجه أيضًا : ابن عساكر (٣١٢/١٣) . جامع الأحاديث (١٢/ ٣٩٨)

[٧٨]- الزواج وبناء الأسرة د/كمال إبراهيم مرسي ص١٧٨

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ – رضي الله عنه – قال☹ اشْتَكَى ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: فَمَاتَ وَأَبُو طَلْحَةَ خَارِجٌ، فَلَمَّا رَأَتِ امْرَأَتُهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ هَيَّأَتْ شَيْئًا وَنَحَّتْهُ فِي جَانِبِ البَيْتِ، فَلَمَّا جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: كَيْفَ الغُلاَمُ؟ قَالَتْ: **قَدْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدِ اسْتَرَاحَ**. وَظَنَّ أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهَا صَادِقَةٌ، قَالَ: فَبَاتَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، أَعْلَمَتْهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – بِمَا كَانَ مِنْهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – "لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا". قَالَ سُفْيَانُ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: فَرَأَيْتُ لَهُمَا تِسْعَةَ أَوْلاَدٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ القُرْآنَ)٧٩.

وقد جمعت بين حسن العمل وحسن القول، وكان من حسن عملها وامتلاكها لنفسها:

١–أنها لم تسمح للحزن أن يذهب بها كل مذهب حتى يقضي عليها، بل قطعت عليه الطريق وهيأت نفسها لكي يقضي زوجها وطره، وهي التي دعته لذلك بما تملك من وسائل الدعوة (قوله:" فبات" أي معها ،"فلما أصبح اغتسل" فيه كناية عن الجماع؛ لأن الغسل إنما يكون في الغالب منه، وقد وقع التصريح بذلك في غير هذه الرواية؛ ففي رواية أنس بن سيرين:" فقربت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها"، وفي رواية عبد الله:" ثم تعرضت له فأصاب منها"، وفي رواية حماد عن ثابت:" ثم تطيبت"، زاد جعفر عن ثابت:" فتعرضت له حتى وقع بها"، وفي رواية سليمان عن ثابت:" ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها")٨٠

وساق الإمام مسلم حسن صنيعها وكيف تجاوزت هذه المحنة، فروى بسنده عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَاتَ ابْنٌ لأَبِى طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ ،فَقَالَتْ لأَهْلِهَا: لاَ تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ – قَالَ – فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً فَأَكَلَ وَشَرِبَ – فَقَالَ – ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذَلِكَ فَوَقَعَ بِهَا، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا، قَالَتْ يَا أَبَا طَلْحَةَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟! قَالَ:" لاَ". قَالَتْ: "فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ").

٧٩– صحيح البخاري كتاب الجنائز باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة ص٢٠٨

٨٠– فتح الباري لابن حجر ٣/ ٢٠٩

وكان من حسن قولها أن قالت("يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟" قالت: "فاحتسب ابنك". الحديث)٨١

وقد أحسنت اختيار الكلام الذي يطمأن القلب ويريح النفس، وهي مع ذلك ملتزمة بالصدق الذي لا يتركه المسلم في شدة أو رخاء، وقد أنطقته بالحق الذي يغيب عن النفس ساعة الغضب والحزن الشديد فنطق، ثم أخبرته بموت ابنهما والموت مصيبة كما سماه الله تعالى، لكن الله وفق المرأة وهداها إلى حسن التدبير والتصرف، وأفرغ عليها صبرا من لدنه سبحانه وهي كذلك ملتزمة بالدقة في كلماتها فقالت:("وأرجو أن يكون قد استراح" لم تجزم بذلك على سبيل الأدب، ويحتمل أنها لم تكن علمت أن الطفل لا عذاب عليه ففوضت الأمر إلى الله تعالى مع وجود رجائها بأنه استراح من نكد الدنيا).٨٢

وإنما صدر حسن القول والعمل من نفس صابرة محتسبة فمن(ترك شيئًا لله تعالى، وآثر ما ندب إليه، وحض عليه من جميل الصبر، فإنه معوض خيرًا بما فاته، ألا ترى قوله: (فَرَأَيْتُ تِسْعَةَ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ القُرْآنَ). ولقد أخذت أم سليم في الصبر إلى أبعد غاية، على أن النساء أرق أفئدة؛ لأنا نقول: إن ما في نسائها ولا في الجلد من الرجال مثل أم سليم؛ لأنها كانت تسبق الكثير من الرجال الشجعان إلى الجهاد، وتحتسب في مداواة الجرحى، وثبتت يوم حنين في ميدان الحرب، والأقدام قد زلزلت، والصفوف قد انتفضت. والمنايا قد فغرت، فالتفت إليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وفي يدها خنجر فقالت: يا رسول الله أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يحاربونك، فليسوا بشرٍّ منهم.)٨٣ وقد كانت المصيبة عظيمة؛ فأبو طلحة يحب الولد الذي توفي حبا شديدا وقد كان هذا الولد جميلا والنفس تعشق الجميل جاء في(قصة تزويج أم سليم بأبي طلحة بشرط أن يسلم :" فحملت فولدت غلاما صبيحا فكان أبو طلحة يحبه حبا شديدا، فعاش حتى تحرك فمرض فحزن أبو طلحة عليه حزنا شديدا حتى تضعضع، وأبو

٨١- التوضيح ٥٦٧/٩

٨٢- فتح الباري لابن حجر ٣/ ٢٠٩

٨٣- التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٩/ ٥٧٠)

طلحة يغدو ويروح على رسول الله – صلى الله عليه و سلم– فراح روحة فمات الصبي")٨٤ وبلغ من ثباتها وقوة قلبها أنها جهزت الطفل للدفن فغسلته وكفنته.

(قوله:" هيأت شيئا" قال الكرماني:" أي: أعدت طعاما لأبي طلحة وأصلحته" وقيل:" هيأت حالها وتزينت". قلت:" بل الصواب أن المراد أنها هيأت أمر الصبي بأن غسلته وكفنته ،كما ورد في بعض طرقه صريحا: ففي رواية أبو داود الطيالسي عن مشايخه عن ثابت:" فهيأت الصبي"، وفي رواية حميد عند بن سعد:" فتوفي الغلام فهيأت أم سليم أمره"، وفي رواية عمارة بن زاذان عن ثابت:" فهلك الصبي فقامت أم سليم فغسلته وكفنته وحنطته وسجت عليه ثوبا" قوله:" ونحته في جانب البيت" أي: جعلته في جانب البيت" وفي رواية جعفر عن ثابت:" فجعلته في مخدعها")٨٥

ونلمح في الحديث ما يدل على حسن تصرف أم سليم رضي الله عنها ومن ذلك:

١–حسن القيادة للحق والحقيقة.

٢– والعمل على تهدئة النفوس قبل سياق الأخبار التي تؤلم النفس.

٣–وتقرير الحقائق التي تقوي القلب لكي يتحمل ما سيلقى عليه.

٤–والتمهيد وعدم المفأجاة من نزل به المصاب حتى إذا أخبر استقبل الخبر بصدر رحب

وكل ذلك صادر من حسن العشرة.

١٠–قطع قالة السوء: حافظ النبي – صلى الله عليه وسلم – على عرضه أن يمتد إليه لسان يورد صاحبه المهالك وينشر قالة السوء ، وقد صنع النبي – صلى الله عليه وسلم – ذلك من أقرب طريق وعند بداية تطرق الظنون ، روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ – رضى الله عنهما – أَنَّ صَفِيَّةَ أَخْبَرَتْهُ . حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ يُخْبِرُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ أَنَّ صَفِيَّةَ – رضي الله عنها– أَتَتِ النَّبِيَّ – صلى

٨٤– فتح الباري لابن حجر ٣/ ٢٠٨

٨٥– فتح الباري لابن حجر ٣/ ٢٠٩

الله عليه وسلم – وَهْوَ مُعْتَكِفٌ، فَلَمَّا رَجَعَتْ مَشَى مَعَهَا، **فَأَبْصَرَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَلَمَّا أَبْصَرَهُ دَعَاهُ فَقَالَ: "تَعَالَ، هِيَ صَفِيَّةُ** –وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: هَذِهِ صَفِيَّةُ– فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ". قُلْتُ لِسُفْيَانَ:" أَتَتْهُ لَيْلًا؟" قَالَ: "وَهَلْ هُوَ إِلَّا لَيْلٌ؟!")٨٦

استنبط الإمام ابن الملقن من الحديث:(تجنب مواضع التهم وأن الإنسان إذا خشي أن يسبق إليه بظن سوء أن يكشف معنى ذلك الظن، ويبرئ نفسه من نزغات الشيطان الذي يوسوس بالشر في القلوب، وفيه: تعليم أمته مثل ما فعل)٨٧. لايقف الإنسان مواقف التهم هذا صحيح، لكن التهم قد تلاحقه وإن لم يتعرض لها، وكم من اتهامات قد أثيرت وبعد التحقيق ظهر أنها لا نصيب لها من الواقع ولا صلة لها بالحقيقة؟، فهل يظل سلاح الخوف من التهم ، مشرعا في وجه الدعاة يحول بينهم وبين الإقدام والمبادرة؟؟ قد يكون من الحكمة أن يحتاط الإنسان لدينه ودنياه ولا يهجم على عمل قبل التخطيط له، ثم قبل ذلك يستعين بالله تعالى وبعد ذلك يتوكل على الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه، وهذه التهم التي تطلق بلا دليل؛ صدا عن سبيل الله وتنفيرا من الحق وأهله، توجهنا إلى ضرورة وجود جهاز راصد كشاف يستطلع ما يثار بل ما يمكن أن يثار، ويدحض التهم ويكشف المكر الذي يدبر للدعاة، ومن المهم أن يشتمل عمل هذا الجهاز على تتبع التهم التي توجه للدعاة الصادقين الذين هم في الأصل برءاء من هذه الافتراءات٨٨،ويتوجه جزء آخر إلى الشبه التي تثار حول تعاليم الإسلام .

٨٦– صحيح البخاري أبواب الاعتكاف باب هل يدرأ المعتكف عن نفسه ص٣٢٧

٨٧– التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٣/ ٦٦١)

٨٨– من الانصاف أن الذين ارتكبوا جرائم من الدعاة إلى الله تعالى لا يدافع عنهم بالباطل وإن كانوا رموزا يتبعهم أناس ويقتدي بهم خلائق فإن لم نجد لهم عذرا صحيحا مقبولا ولم نستطع ان نحمل فعلهم على محمل حسن فيجب البراءة منهم وبيان خطئهم فالحق لا يعرف بالرجال وإنما يعرف الرجال بالحق واعرف الحق تعرف أهله.

المبحث الثاني: دعوة الأبناء:

ومن أقرب الناس صلة بالداعية من يحملون اسمه ويتخذهم الناس حجة على صدقه ونجاحه ، أبنائه فهم ألصق الناس به، وحب الإنسان – أيا كان ذلك الإنسان – لأبنائه حب فطري يتمنى لهم الخير ويسعى لكي يكونوا بأفضل المنازل وأعلى الدرجات ولا يدخر أي جهد في سبيل ذلك، والموفق السعيد من يكرمه الله تعالى وينعم عليه بذرية صالحة، منّة من الله تعالى وفضلا والله ذو الفضل العظيم، وينتفع الداعية بهذه المنّة العظمى فيسعى لتكوين جيل صالح يحمل مبادئ الإسلام اعتقادا ويتمثلها عملا ويعبر عنها قولا.

وقد تناولت الحديث عن دعوة الأبناء من خلال عدة نقاط:

١-محبة الوالدين أقوى دافع لطاعتهما: ومبدأ الأمر كله في شعور الولد بمحبة والده؛ وكلما زاد هذا الحب كلما ازداد تعلق الولد به ومن ثم طاعته وسرعة التنفيذ للخير، وتشتد الحاجة إلى المحبة ساعات الضعف ومنها المرض،(قَالَ الْبَرَاءُ: فَدَخَلْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ عَلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا عَائِشَةُ ابْنَتُهُ مُضْطَجِعَةٌ، قَدْ أَصَابَتْهَا حُمَّى، فَرَأَيْتُ أَبَاهَا **فَقَبَّلَ خَدَّهَا، وَقَالَ:كَيْفَ أَنْتِ يَا بُنَيَّةُ؟)**٨٩ ومن هذا الحديث الشريف يبدو مدى الحنان الذي يغمر به الصديق – رضي الله عنه – ابنته عائشة – رضي الله عنها – عندما يجدها مريضة بالحمى، وللحمى آلامها المبرحة وإذا به – رضي الله عنه – يطبع على خدها قبلة أبوية تداوي العلل وتخفف الآلام، ويأتي السؤال

٨٩- صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ص٦٦١، ٦٦٢

عن حالها مكمّلا لهذه الدواء الذي يخفف على النفس ما تعانية من المرض، وتزيد من الروابط بين الأب وابنته.

٢-حب الوالد لولده لا يمنعه من تقويمه: ومع أن حب الإنسان لأبنائه حب فطري ينمو بالعطف والإحسان والسعي الحثيث لحياة هانئة، إلا أن الحق هو الحق لا يتغير فنجد النبي- صلى الله عليه وسلم - يضرب المثل بأحب الناس إليه في استيفاء حق الله تعالى ،عَن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ، فَفَزِعَ قَوْمُهَا إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ، قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسَامَةُ فِيهَا تَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: "أَتُكَلِّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟! ". قَالَ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ. فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - خَطِيبًا، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، **لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**". ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ، فَقُطِعَتْ يَدُهَا، فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَتَزَوَّجَتْ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم)٩٠ يعلن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن الحق هو الحق، والخطأ هو الخطأ ولو قام به أحب الخلق إليه، فاطمة - حاشاها رضي الله عنها - التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي»٩١.ومع ذلك فإنه - صلى الله عليه وسلم - سيطبق الحد عليها لو أتت بما يوجبه - حاشاها رضي الله عنها - وكون الداعية يطبق العدل مع أبنائه وأعدائه، مما يبين صدق الداعية من عدمه ويظهر منه كذلك إخلاصه من عدمه.

٣-عدم اعتماد الأبناء على صلاح الآباء: وهذا من أهم أسباب نجاح الداعية، ويليه تربية الأبناء على عدم الاتكال على صلاح الأب فإن كل إنسان يجازى بما عمل عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، يَا أُمَّ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ عَمَّةَ رَسُولِ

٩٠- صحيح البخاري كتاب المغازي باب ص٧٢٨

٩١- صحيح البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب فاطمة رضي الله عنها.

اللهِ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، اشْتَرِيَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللهِ، **لاَ أَمْلِكُ لَكُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا**، سَلاَنِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمَا»)٩٢. فإعلان النبي – صلى الله عليه وسلم – لعمته وابنته بضرورة العمل الصالح والحذر من السيئات لأن النبي –صلى الله عليه وسلم – لا يملك أن يدفع عنهما – وهما من أحب الناس إليه – شيئا من غضب الله وعقابه، كل ذلك يحرك النفس إلى عمل الصالحات والفرار من الخطايا، ويضيف إلى الداعية رصيدا من أهله يساعدونه بفعلهم الصالحات وبتجنبهم لما يسوءهم ويتخذ ضدهم وضد دعوتهم.

بهذه الدعوة التي تحض على الخير، وترتب الجزاء على العمل، وتمنع النفس من الاتكال على نسب أو سبب، نرى مواقف مشرفة تساند الداعية على طريق الحق والخير، وتكون هذه المواقف بذاتها دعوة للخير، عَنْ عَبْدِ اللهِ – رضي الله عنه – قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – سَاجِدٌ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ **إِذْ جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلَى جَزُورٍ٩٣، فَقَذَفَهُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَتْ فَاطِمَةُ – عَلَيْهَا السَّلاَمُ – فَأَخَذَتْ مِنْ ظَهْرِهِ، وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ**، فَقَالَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم –: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ المَلأَ مِنْ قُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ –أَوْ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ». فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ، فَأُلْقُوا فِي بِئْرٍ، غَيْرَ أُمَيَّةَ –أَوْ أُبَيٍّ– فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلاً ضَخْمًا، فَلَمَّا جَرُّوهُ تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ قَبْلَ أَنْ يُلْقَى فِي البِئْرِ)٩٤.

هنا نرى مبادرة السيدة فاطمة – رضي الله عنها – إلى رفع الأذى عن ظهر النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو موقف تظهر فيه شجاعتها – رضي الله عنها – ، شجاعة جاءت من التربية و الشعور بالمسؤلية فكانت الابنة الشجاعة التي تتقدم في المواقف الشديدة، التي منها ما رواه الإمام البخاري بسنده (عَنْ أَبِي حَازِمٍ، سَمِعَ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ، وَسَأَلَهُ النَّاسُ –وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَحَدٌ –: بِأَيِّ شَيءٍ دُووِيَ جُرْحُ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم –؟ فَقَالَ: مَا بَقِيَ أَحَدٌ

٩٢– صحيح البخاري كتاب المناقب باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية ص٥٩٤

٩٣– "سلى جزور" بفتح السين المهملة وتخفيف اللام مقصورًا وهي اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة، والجزور بفتح الجيم وضم الزاي بمعنى المفعول أي المنحور من الابل ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/ ٢٤٦)

٩٤– صحيح البخاري كتاب الجزية والموادعه باب طَرْحِ جِيَفِ المشْرِكِيْنَ فِي البِئْرِ وَلَا يُؤخَذُ لَها ثَمَنٌ ص٥٣١

أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، كَانَ عَلِيٌّ يَجِيءُ بِتُرْسِهِ٩٥ فِيهِ مَاءٌ، وَفَاطِمَةُ تَغسِلُ عَنْ وَجْهِهِ الدَّمَ، فَأُخِذَ حَصِيرٌ فَأُحْرِقَ، فَحُشِيَ بِهِ جُرْحُهُ)٩٦.

و(عَنْ سَهْلٍ – رضي الله عنه – أَنَّهُ سئلَ عَنْ جُرْحِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: جُرِحَ وَجْهُ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم –، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتهُ، وَهُشِمَتِ البَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، فَكَانَتْ فَاطِمَةُ – عَلَيْهَا السَّلَامُ – تَغْسِلُ الدَّمَ وَعَلِيٌّ يمْسِكُ، **فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ الدَّمَ لَا يَزِيدُ إِلَّا كَثْرَةً أَخَذَتْ حَصِيرًا فَأَحْرَقَتْهُ حَتَّى صَارَ رَمَادًا ثمَّ أَلْزَقَتْهُ، فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ)**٩٧.

وهنا نرى السيدة فاطمة – رضي الله عنها– صاحبة قلب شجاع حين تحرق الحصير وتضعه على الجرح، فمع ما عرف عنها – رضي الله عنها – من رقة قلبها ،إلا أن الواجب يقضي عليها بأن تستمسك بحبال الشجاعة لتصنع هذا الفعل الجسور.وفي هذا الحديث يظهر البلاء الذي أصاب النبي – صلى الله عليه وسلم – وأهل بيته فلأن ابتلي النبي – صلى الله عليه وسلم – في بدنه بالجراح والدم الذي سال، فإن نصيب السيدة فاطمة – رضي الله عنها– من الابتلاء أنها حتما تألمت وهي ترى دم أبيها يسيل.

٤–رعاية الأب لأبنائه لا تتوقف عند بلوغهم عمر معين:والأخلاق الفاضلة تحتاج إلى تمرين وحسن تعهد ، وقد كان النبي– صلى الله عليه وسلم – يتعاهد علي وفاطمة رضوان الله عليهما بما يصلح مسار حياتهما .

عن عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ – عليه السلام – لَيْلَةً٩٨ فَقَالَ: "أَلاَ تُصَلِّيَانِ؟ ". فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا. فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا. ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَهُوَ يَقُولُ: {وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا}. [الكهف: ٥٤]

٩٥-

٩٦- صحيح البخاري كتاب الوضوء باب غَسْلِ المَرْأَةِ (أَبَاهَا الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ) صـ٤٥

٩٧- صحيح البخاري كتاب الجهاد باب لبس البيضة صـ٤٨١

٩٨- (طرقهما): أتاهما ليلًا، هذا هو المشهور، وقيل: طرقه: أتاه.وقوله في الحديث: (لَيْلَةً) للتأكيد. وحكى ابن فارس أن طرق: أتى كما تقدم ، فعلى هذا يكون لنا ليلًا على البيان لوقت مجيئه أنه كان بالليل، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٩/ ٣٧)).

وفي الحديث تنبيه الأبناء إلى مواضع الخير وإن كان فيه نوع مشقة ،وذلك شأن المحب أن ينظر إلى النتائج العظيمة التي تترتب على فعل الخير ويهون على ولده ما يمكن أن يلاقيه من عناء، وفعل الخير قد يكون في أوله يحمل شيئا من المشقة ، ثم عندما تعتاد عليه النفس يهون بل يصبح أحد العادات التي لا تستغني عنها النفس، ولا يحملنه استثقالهم على ترك التنبيه، فقد عاودهم النبي – صلى الله عليه وسلم – لكي يوقظهم(قال بن بطال :"فيه فضيلة صلاة الليل، وإيقاظ النائمين من الأهل والقرابه لذلك، ووقع في رواية حكيم بن حكيم المذكورة:" ودخل النبي – صلى الله عليه و سلم – علي وعلى فاطمة من الليل، فأيقظنا للصلاه ثم رجع إلى بيته فصلى هويا من الليل فلم يسمع لنا حسا فرجع إلينا فأيقظنا" الحديث، قال الطبري:" لولا ما علم النبي – صلى الله عليه و سلم – من عظم فضل الصلاة في الليل ما كان يزعج ابنته وبن عمه في وقت جعله الله لخلقه سكنا، لكنه اختار لهما احراز تلك الفضيلة على الدعة والسكون امتثالا لقوله تعالى {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ } [طه: ١٣٢] الآية)٩٩

ونلمس حسن أسلوب النبي – صلى الله عليه وسلم – عندما يدعوهما إلى صلاة فيها من مشقة القيام من النومة المحبوبة، ويتغلب على ذلك بهذا الكلمات التي تحمل الحث على الوصول لهذه المنزلة العظيمة، قال الإمام ملا علي القاري:(قوله:" ألا تصليان" كلمة "ألا" للحث والتحريض، والخطاب لعلي وفاطمة رضي الله تعالى عنهما)١٠٠ فهي دعوة مشمولة بما يحفز النفس ،ويدفع عنها المعوقات، ويبين لها ما أعده الله من عظيم الأجر، كل ذلك وأكثر منه جاء في قوله صلى الله عليه وسلم:"ألا تصليان" ،فينبغي لكل من يدعو إلى خير فيه نوع مشقة ما، أن يقرن دعوته بالحث والتحفيز وإثارة الشوق إلى رضوان الله تعالى؛ لكي تتغلب النفس على المعوقات التي تنبع من داخلها والتي تأتيها من خارجها.

٥-المساهمة في حل النزاع بين الابنة وزوجها: وقد كانت رعايته – صلى الله عليه وسلم – لفاطمة – رضي الله عنها- رعاية ممتدة تنبهها لمواضع الخير – فيوقظها لصلاة الليل لتنال الرحمات والبركات التي تتنزل على أصحاب الهمم العالية – ،وتبحث عن مواضع

٩٩- فتح الباري لابن حجر ٣/ ١٣

١٠٠-عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٥٤/٧

القصور فتكملها، وهي مهمة الراعي الذي يتفقد رعيته والداعية الذي يرقى بمن يدعوهم إلى مدارج الكمال ، والأب الذي يسعى بأبنائه إلى صراط الله المستقيم،عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – بَيتَ فَاطِمَةَ، فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي البَيْتِ، فَقَالَ: "أَيْنَ ابن عَمَّكِ؟ ". قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – لِإِنْسَانٍ: "انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟ ". فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ فِي الَمسْجِدِ رَاقِدٌ. فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – وَهْوَ مُضْطَجِعٌ، قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ، وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – يَمْسَحُهُ عَنْهُ، وَيَقُولُ: "قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ")١٠١.

ها هنا نرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يزور بيت ابنته فاطمة – رضي الله عنها– فيفقد عليا – رضي الله عنه – في وقت لا يغيب فيه الرجل عن بيته لأنه وقت القيلولة ، فيسأل عنه سؤال المستكشف الذي إن وجد خرقا رقعه أو قطعا وصله أو خللا سدده وأصلحه، لا سؤال المتجسس الذي يريد أن يكشف المستور فحسب إرضاء للرغبة في الاطلاع على الخفايا أو نصرة لابنته وإن كانت مخطأه، فيرسل من يبحث عنه فيجده في المسجد فيذهب إليه – صلى الله عليه وسلم – ورسولنا – صلى الله عليه وسلم – عظيم القدر عند الله وعند المسلمين، فهو أحق من يؤتى إليه ويلاطفه – صلى الله عليه وسلم – فيناديه بهذه الكلمة:" قم أبا تراب".

ولابد أن حوارا دار بين فاطمة وعليّ – رضوان الله عنهما – أدى إلى الغضب ،وحتى لا يتفاقم الأمر خرج عليّ – رضي الله عنه – كشأن العقلاء الذي يطفئون نيران الغضب ما استطاعوا.

ونلمس أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يسأل عن سبب المغاضبة، ولم ينقل شراح الحديث شيئا في هذا السبب، ويؤخذ من هذا الحديث(الرفق بالأصهار وإلطافهم ، وترك معاتبتهم على مايكون منهم لأهلهم ، لأن النبى – عليه السلام – لم يعاتب عليا على مغاضبته

١٠١– صحيح البخاري كتاب الصلاة باب نوم الرجال في المسجد صـ٧٦، ٧٧

لأهله ، بل قال له :" قم". وعرض له بالانصراف إلى أهله)١٠٢. وفي الحديث كذلك(الممازحة للغاضب ،بالتكنية بغير كنية إذا كان ذلك لا يغضبه بل يؤنسه)١٠٣

ولعل مما يزيل آثار الغضب ،الممازحه التي تخرج الغاضب من حالة الغضب والغيظ إلى البسمة التي تداوي الجراح وتغير من المزاج، فتتهيأ النفس بعد ذلك لقبول ما يعرض عليها من أمور الصلح أو الاستفسار عما وقع إن احتاج الأمر.

وفي (قوله:" أين ابن عمك؟!" أراد به علي بن أبي طالب، وفي الحقيقة ابن عم النبي، وإنما اختار هذه العبارة ولم يقل أين زوجك؟ أو أين علي؟ لأنه فهم أنه جرى بينهما شيء فأراد استعطافها عليه بذكره القرابة النسبية التي بينهما).١٠٤ وكأنه – صلى الله عليه وسلم – يفتح قناة للاتصال بين الزوجين الحبيبين المتغاضبين، فمن شأن الأحبة أن يعود بينهما الود في أقرب فرصة ومن دون تدخل، فإن حدثت مبادرة للصلح من أحدهما أو من غيرهما قوبلت بالترحاب.

ونرى كذلك رسالة موجهة من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى طرفي النزاع فالنبي – صلى الله عليه وسلم – يقول لفاطمة أين ابن عمك؟ مذكرا لها بحق القرابة وحق الزوجية معا، وكذلك يمازح عليا رضوان الله عليه ،ليستخرج منه البسمة ومعها الألم ،فتصفو نفسه وتتهيأ لمبادرة الصلح ،فينبغي على من يقوم بالصلح بين متخاصمين؛ أن يوجه كلامه ونصحه لكلى الطرفين، فإن الكلام إذا وجه لطرف دون الآخر ظن من يُوجه له الكلام أنه وحده المقصر، وأنه وحده من يتحمل العبء لما حدث، وهذه بداية الإعراض عن سماع النصيحة.

ومع عظم قدرهما وعلو مكانتهما، إلا أنه حدث بينهما ما يستدعي الغضب بل والفراق في المكان؛ إما من شدة الغضب أو لكي لا يتسع الخرق على الراقع وهنا يتدخل الأب الحكيم – صلى الله عليه وسلم – لرأب الصدع حتى لا تتحول المغاضبه إلى شقاق. ولايزال الأب يؤدي دوره حتى في نهاية حياته إرشادا وتعليما وتسلية قبل أن تنزل المصيبة ،عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (دَخَلْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ – رضي الله عنه – فَقَالَ: فِي كَمْ كَفَّنْتُمُ النَّبِيَّ – صلى الله

١٠٢– شرح صحيح البخارى. لابن بطال (٩/ ٥٨)

١٠٣– عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٩٤/٤

١٠٤– عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٩٣/٤، ٢٩٤

عليه وسلم –؟ قَالَتْ: فِي ثَلاَثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلاَ عِمَامَةٌ. وَقَالَ لَهَا: فِي أَيِّ يَوْمٍ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –؟ قَالَتْ: يَوْمَ الاِثْنَيْنِ. قَالَ: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالَتْ: يَوْمُ الاِثْنَيْنِ. قَالَ: أَرْجُو فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّيْلِ. فَنَظَرَ إِلَى ثَوْبٍ عَلَيْهِ كَانَ يُمَرَّضُ فِيهِ، بِهِ رَدْعٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ فَقَالَ: اغْسِلُوا ثَوْبِي هَذَا، وَزِيدُوا عَلَيْهِ ثَوْبَيْنِ فَكَفِّنُونِي فِيهَا. قُلْتُ: إِنَّ هَذَا خَلَقٌ! قَالَ: إِنَّ الحَيَّ أَحَقُّ بِالجَدِيدِ مِنَ المَيِّتِ، إِنَّمَا هُوَ لِلْمُهْلَةِ. فَلَمْ يُتَوَفَّ حَتَّى أَمْسَى مِنْ لَيْلَةِ الثُّلاَثَاءِ وَدُفِنَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ).١٠٥

٦–توجيه الأب لابنائه إلى الخير حتى قبل وفاته: تقترب حياة الصديق – رضي الله عنه – من النهاية ويريد لابنته أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – أن لا تجزع بعده بل تستقبل خبر وفاته راضية بقضاء الله تعالى، فيذكرها بمصاب الصحابة الأعظم وهو فقد النبي – صلى الله عليه وسلم – ويسألها عن كفنة واليوم الذي توفي فيه فإذا ذكرت مصيبتها في رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هانت عليها مصيبتها في الصديق، وما هي إلا سويعات وينتهي أجل الصديق رضي الله عنه، وقد أحسن الصديق – رضي الله عنه – صنعا عندما سأل عن كفن النبي – صلى الله عليه وسلم – وقد كان ذلك(توطئة لعائشة للصبر على فقده ،لأنه لم تكن خرجت من قلبها الحرقة لموت النبي، ولو كان ذكر ابتداء من أمر موته لدخل عليها غم عظيم من ذلك وتجديد حزن؛ لأنه كان يكون حينئذ غم على غم وحزن على حزن ولم يقصد أبو بكر ذلك، وإنما كان وجه سؤاله ليعلمها أنه كان يتمنى أن تكون وفاته يوم الإثنين، ولم يكن سؤاله عن حقيقة ذلك، وإنما قالت عائشة – رضي الله تعالى – عنها يوم الاثنين تطييبا لقلبه، لما قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: في أي يوم توفي رسول الله؟)١٠٦.وقد كان مقتديا بالنبي – صلى الله عليه وسلم – عندما دعاهم إلى الاقتصاد في كفنه فقال " إِنَّ الحَيَّ أَحَقُّ بِالجَدِيدِ مِنَ المَيِّتِ " وما أعظمها من وصية تبقى ذخرا له بعد وفاته، وينتفع بها أبنائه في حياتهم.

٧–استشارة الابنة لأبيها: وقد كان حسن التدبير وحسن استغلال ما بأيدي الصحابة الكرام دأبهم ، فحسن التدبير مع الكفاف خير من الكثير مع الإسراف ،عَنْ أَسْمَاءَ – رضي الله عنها –

١٠٥– صحيح البخاري كتاب الجنائز باب موت يوم الاثنين.ص٢٢٣

١٠٦– عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٣١٥/٨

قَالَتْ: صَنَعْتُ سُفْرَةَ رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ حِينَ أَرَادَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى المَدِينَةِ، قَالَتْ: فَلَمْ نَجِدْ لِسُفْرَتِهِ وَلاَ لِسِقَائِهِ مَا نَرْبِطُهُمَا بِهِ، فَقُلْتُ لأَبِي بَكْرٍ وَاللهِ مَا أَجِدُ شَيْئًا أَرْبِطُ بِهِ إِلاَّ نِطَاقِي١٠٧. قَالَ فَشُقِّيهِ بِاثْنَيْنِ، فَارْبِطِيهِ بِوَاحِدٍ السِّقَاءَ وَبِالآخَرِ السُّفْرَةَ. فَفَعَلْتُ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ)١٠٨.

("فقلت لأبي بكر: والله ما أجد شيئاً أربط به إلا نطاقي". فيه: استشارتها والدها وكانت حينئذ عند الزبير.)١٠٩.

المرأة العاقلة هي التي تستشير أولى الخبرة والدربة في شئون حياتها، وحبذا لو اجتمع رأفة الوالدين مع تجارب السنين، وقد اجتمع ذلك للصديق – رضي الله عنه – فكان نعم الوالد الرؤوف والحكيم الذي عركته التجارب، لذلك اتجهت إليه ابنته أسماء – رضي الله عنها – تستشيره عندما لم تجد ما تربط به سفرة النبي – صلى الله عليه وسلم – وسقائه فأشار عليها الصديق – رضي الله عنه – بالرأي السديد وقد أرشدها – رضي الله عنه – إلى الاستفادة مما تحت يدها، وإحسان استغلاله، وإذا تخلقت المرأة بهذا الخلق وامتلكت هذه الصفة استطاعت أن توظف ما عندها من أشياء في حاجاتها، وهذا المبدأ يوفر كثيرا من المال وتعمد إليه الاقتصاديات الرشيدة للنهوض بالأمم ذات الموارد المحدودة.

٨–**رعاية موهبة الابن:** وقد كان الصحابة – رضوان الله عليهم – يربون أبنائهم ليكونوا رجالا يعتمد عليهم؛ يرفعون راية التوحيد، ويسعون في عمارة الأرض، والفارق بين بيئة وبيئة ،وشخص وشخص، أن هناك من يبحث عن موهبة ويراها ويتعاهدها وإن كانت صغيرة تحتاج لجهود مضنية لكنه يصبر على ذلك ويحتسب الأجر من الله تعالى، وهناك من يرى المواهب فيخنقها لئلا تظهر، ويرى في كل صاحب مهارة منافسا له سيقاسمه الرزق والشهرة.

١٠٧– و"النطاق": شريطة تشد بها المرأة وسطها ترفع بها ثيابها وترسل عليها إزارها، ذكره القزاز، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٨/ ١١١)

١٠٨– صحيح البخاري كتاب الجهاد باب حمل الزاد في الغزو صـ٤٩٢

١٠٩– التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٨/ ١١١)

والأمم التي تسعى لأن يكون لها مكان ومكانة تبذل كل طاقتها في سبيل استخراج مواهب أبنائها، وتبذل جهود مضنية لكي تستثمر هذه المواهب وترعاها، وبعد ذلك تجني التقدم والرخاء، وإن لم تكتشف هذه المواهب ماتت وأصاب أصحابها اليأس، فلجأوا إلى الغياب الاختياري عن المجتمع بالمخدرات وما شابهها، أو بمعاقبة هذا المجتمع الذي لم يلتفت إليها والشغب عليه، وكلا الأمرين خسارة للأمة وحرمان لها من جهود تسهم في بنائها وحمايتها من كيد أعدائها، ننظر إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وهو يحث عبد الله بن عمر – رضي الله عنه – على التصريح بما يعلم من إجابة على سؤال النبي – صلى الله عليه وسلم– فإجابته عبد الله لهذا السؤال خيرا لعمر – رضي الله عنه– من كثير مما يتمناه الناس.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: "إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَهِيَ مَثَلُ المُسْلِمِ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ ". فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ. قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ. فَقَالُوا:"يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنَا بِهَا". فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: "هِيَ النَّخْلَةُ". قَالَ عَبْدُ اللهِ:" فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي"، فَقَالَ:"لأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا")١١٠.

٩–تعليم ما يتعلق بالمسائل الجنسيه في إطار شرعي: كان الصحابة – رضوان الله عليهم – وثيقي الصلة بأبنائهم يعلمونهم ما دق وجل من أمور الدنيا والآخرة، فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يعلم ابنه محمد بن الحنفيه أمرا دقيقا قد يستحي منه الكثير من الناس ،عَنْ مُحَمَّدٍ بنِ الَحنَفِيَّةِ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا مَذَّاءً، فَأَمَرْتُ المِقْدَادَ أَنْ يَسْأَلَ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم –، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: "فِيهِ الوُضوءُ")١١١ محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب يروي هذا الحديث عن أبيه علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وكثرة المذي تدل على شدة الشهوة وهو مما يستحي الآباء من ذكره أمام الأبناء، وعندما لا تنتقل هذا الأبواب من العلم، من العالم للناس وأولى الناس أهله وولده، يبدأ الناشئ فيسأل من هم حوله من أقرانه، وليسوا بأكثر منه علما ولا تجربة ولا خبرة بالحياة، لكن الموفق هو الذي ينقل مثل هذه الأمور الدقيقة – والتي يستحيا من ذكرها – بطريقة علمية تكتسي بآداب الإسلام ولا تغفل ما يحتاج إليه

١١٠– صحيح البخاري كتاب العلم باب الحياء في العلم

١١١– صحيح البخاري كتاب العلم باب من استحيا فأمر غيره بالسؤال صـ٢٩

المتعلم، ونحن بذلك نحافظ على المتلقي، ونوفر له بيئة نظيفة يتعلم فيها ما لا يستغني عنه في دينه ودنياه.

وهذه المسائل الدقيقة عندما يتم تعلمها في إطار شرعي ويتم تداولها بأسلوب ملأه الأدب والطهر، لايجنح فيه خيال الشاب أو الفتاة إلى المحظورات، ولا يعاني الصراع بين متطلبات الجسد وفورة الشباب وأوامر الشرع الحنيف.

المبحث الثالث:دعوة الحفيد:

بعد أن تكلمنا عن الدعوة بين الزوجين، وعن دعوة الأبناء، نتناول بالحديث بقية الأقارب، ومن أقربهم إلى القلب الحفيد؛ فهو امتداد للجد يُبقي ذكره سنين عددا، وفي تزكيته تربية للأجيال القادمة، وتواصل على الخير والبر، وفي تنشئته على خصال الخير ،ذخر ينفع من أعده إعدادا حسنا ويبقى عينا فياضة بالحسنات له وسأتناول الحديث عن دعوة الحفيد في النقاط التالية:

١-شفقة بالغة: وقد كان للنبي – صلى الله عليه وسلم – مواقف مع أحفاده نتعلم منها الإحسان والرحمة،عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ – رضى الله عنه – قَالَ خَرَجَ النَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم – فِى طَائِفَةِ النَّهَارِ لاَ يُكَلِّمُنِى وَلاَ أُكَلِّمُهُ حَتَّى أَتَى سُوقَ بَنِى قَيْنُقَاعَ ، فَجَلَسَ بِفِنَاءِ بَيْتِ فَاطِمَةَ فَقَالَ " أَثَمَّ لُكَعُ أَثَمَّ لُكَعُ " . فَحَبَسَتْهُ شَيْئًا فَظَنَنْتُ أَنَّهَا تُلْبِسُهُ سِخَابًا أَوْ تُغَسِّلُهُ ، فَجَاءَ يَشْتَدُّ حَتَّى عَانَقَهُ وَقَبَّلَهُ ، وَقَالَ:" اللَّهُمَّ أَحْبِبْهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ"١١٢ نرى النبي – صلى الله عليه وسلم – يلاطف الحسن فيقول:"أثم لكع أثم لكع"(وفي (التلويح): الأشبه والأجود أن يحمل الحديث على ما قاله بلال بن جرير الخطفي وسئل عن اللكع فقال:" في لغتنا هو الصغير" قال الهروي:" وإلى هذا ذهب الحسن، إذا قال الإنسان:" يا لكع" يريد:" يا صغير")١١٣ يقول الإمام

١١٢- صحيح البخاري كتاب البيوع باب ما ذكر في الأسواق.ص٣٤١

١١٣- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٣٤٢/١١

ابن بطال:(لا بأس بمهازلة الصبى وغيره إذا كان واقعًا تحت السن والفضل، لا سيما إن عضد ذلك أبوه ؛ لأن النبى أبوه ، والجد أب).١١٤

ونجد السيدة فاطمة – رضي الله عنها – تجهز الحسن ليخرج إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – في أبهى صورة لتدخل السرور على قلب النبي – صلى الله عليه وسلم – فتلبسه (أي: تلبس الصغير "سخابا" بكسر السين المهملة وبالخاء المعجمة الخفيفة وبعد الألف باء موحدة، قال الخطابي:" هي قلادة تتخذ من طيب ليس فيها ذهب ولا فضة" وقال الداودي:"من قرنفل")١١٥ يخرج الحسن بعد أن جهزته أمه – بما استطاعت – مما يعطيه رونقا وجمالا فوق جماله، يخرج الحسن – رضي الله عنه– فيستقبله جده – صلى الله عليه وسلم – استقبالا حافلا بالعاطفة، يعقبه دعاء يجمع بين خيري الدنيا والآخره "اللهم أحبه وأحب من يحبه " ؛وإذا أحب الله تعالى عبدا، نال هذا العبد المنازل الساميه التي جاءت في الحديث القدسي الذي يقول الله فيه " فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ"١١٦ ومع هذه الدرجة الرفيعة يحبه أهل السماء ، ويوضع له القبول في الأرض،(عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ ،نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ . فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، فَيُنَادِى جِبْرِيلُ فِى أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ . فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِى الأَرْضِ)١١٧ فالخير كله في دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم – لحفيده؛ محبة من الله يتبعها إجابة من الله تعالى لدعائه، ومحبة أهل السماء وقبول من أهل الأرض ،يتبعه تيسير أموره وحياة فيها تعاون مع من يحبونه على البر والتقوى ،وتواص بالحق وتواص بالصبر، وتعاضد على فعل الخير، وهذا أقصى ما يتمناه إنسان، أن يكون له محبين يدلونه على الخير إن غاب عنه ،ويعاونونه على الخير إن اهتدى إليه ،ويسألون الله له في دعائهم من كل خير.

١١٤– شرح صحيح البخارى. لابن بطال (٦/ ٢٥٠)

١١٥– عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٣٤٢/١١

١١٦– صحيح البخاري كتاب الرقاق باب التواضع صـ١١٢٧

١١٧– صحيح البخاري كتاب بدأ الخلق باب ذكر الملائكه صـ ٥٣٦

ولم يتوقف حبه – صلى الله عليه وسلم – عند الذكور من أحفاده ،بل كان في حبه – صلى الله عليه وسلم – للإناث من أحفاده مثالا على تقدير المرأة، وهذا أحد مواضع عظمته صلى الله عليه وسلم.

يشمل بعطفه وحنانه صبية صغيرة، وفي ذات الوقت يصحح خطأ كبيرا، وهو نفران العرب من البنات والقسوة عليهن، ويبالغ – صلى الله عليه وسلم – في تقويم هذه الحالة المعوجة ، عندما يحمل أمامة في صلاته، وعندما تنشأ الصغيرة على الرحمة والشفقة؛ تنشأ وهي ذات نفس مستقيمة فتحنو على من تعول، وتنشر الرحمة في كل مكان تحل فيه ، وبذلك نحقق مجتمعا متراحما يشعر أنه جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، والمجتمع القوي المتراحم عون للمظلوم وشوكة في حلق الظالم،(عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – كَانَ يُصَلِّي وَهْوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – وَلأَبِي الْعَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا)١١٨.

(وقال الفاكهاني: وكان السر في حمله إمامة في الصلاة دفعا لما كانت العرب تألفه من كراهة البنات وحملهن، فخالفهم في ذلك حتى في الصلاة، للمبالغة في ردعهم، والبيان بالفعل قد يكون أقوى من القول)١١٩.ونتعلم من الحديث أن(إكرام أولاد المحارم بالحمل جَبْرًا لهم ولأصولهم)١٢٠.

٢–رحمة منضبطة بضوابط الشرع: ومع رحمة النبي – صلى الله عليه وسلم – بأحفاده التي كانت مضرب المثل، إلا أنها رحمة تلتزم بآداب الشرع، فلا تسمح بممنوع، وهي الرحمة التي تعمر ولا تدمر، وكم من إناس أفسدهم الدلال وجعلهم لا يقفون عند حد من حدود الله ؛لأن من رباهم كانوا يحنو عليهم حنو زائفا ، فهو يترك لهم الحبل على الغارب، وإن أدى ذلك إلى ضرر يلحق بهم في دينهم ودنياهم، لكن النبي – صلى الله عليه وسلم – يرحم الرحمة

١١٨– صحيح البخاري كتاب الصلاة باب إذا حمل جارية صغيرة وهو يصلي صـ٨٨

١١٩– فتح الباري لابن حجر ١/ ٧٤٥

١٢٠– التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٦/ ٨٢)

المنضبطة بضوابط الشرع، والتي تمنع من يرحمه من تجاوز حدود الله تعالى،(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – يُؤْتَى بِالتَّمْرِ عِنْدَ صِرَامِ النَّخْلِ، فَيَجِيءُ هَذَا بِتَمْرِهِ، وَهَذَا مِنْ تَمْرِهِ، حَتَّى يَصِيرَ عِنْدَهُ كَوْمًا مِنْ تَمْرٍ، فَجَعَلَ الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ – رضي الله عنهما –يَلْعَبَانِ بِذَلِكَ التَّمْرِ، فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا تَمْرَةً، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فَأَخْرَجَهَا مِنْ فِيهِ فَقَالَ: "أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وسلم – لاَ يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ")١٢١. انظر إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو يحمل أمامة وهو في صلاته، وانظر إليه وهو ينزع التمرة من فم الحسن والحسين وهما في مرحلة الطفولة؛ فلا تكليف عليهما، لكن انظر إلى محاولات النبي – صلى الله عليه وسلم – لاستخراج التمرة من فم الطفل، قال الإمام ابن حجر:(زاد أبو مسلم الكجي من طريق الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد:" فلم يفطن له النبي – صلى الله عليه و سلم – حتى قام ولعابه يسيل، فضرب النبي – صلى الله عليه و سلم – شدقه"، وفي رواية معمر:" فلما فرغ حمله على عاتقه، فسال لعابه، فرفع رأسه، فإذا تمرة في فيه").١٢٢

وما عليه – صلى الله عليه وسلم – أن يترك لهما تمرة من تمر الصدقة، والصدقة حق المسلمين ولو سأل النبي – صلى الله عليه وسلم – المسلمين مالهم وماء أعينهم لأعطوه، ولكن النبي – صلى الله عليه وسلم – يقف بأحفاده وبالمسلمين صغارا وكبارا عند حدود الله تعالى، فالممنوع ممنوع على الكبير والصغير، وحتى يعلم الصبي أن لرغباته حدا ينبغي أن تقف عنده، وحتى تتضح في ذهنه الصوره بين ما يملكه ومايملكه الآخرون،يقول الإمام ابن الملقن:(ينبغي أن يجنب الأطفال ما يتجنب الكبار من المحرمات)١٢٣.

وفي نزع النبي – صلى الله عليه وسلم – التمرة من فم ريحانتيه الحسن والحسين مقرونا بالسبب، درس نتعلمه، حتى لاتذهب أفكارهما بعيدا عن الحكمة التي يريدها النبي – صلى الله

١٢١– صحيح البخاري كتاب الزكاة باب أخذ صدقة التمر عند صرام النخل وهل يترك الصبي فيمس تمر الصدقة ص٢٤١ ،٢٤٢

١٢٢– فتح الباري لابن حجر ٣/ ٤٣٣

١٢٣– التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٠/ ٥٤٧)

عليه وسلم – ،وهي أن هذا لا يحل لكما.ف(الأطفال إذا نهوا عن الشيء يجب أن يعرفوا لأي شيء نهوا عنه؛ ليكبروا على العلم ليأتي عليهم وقت التكليف وهم على علم من الشريعة).١٢٤

وما أحسن أن يعلم الإنسان المنهيات وأدلة النهي وأسبابه؛ لأن ذلك أوقع في النفس وأسهل عليها عندما تؤدي العمل، وكذلك أبعد عن الاستجابة لنزغات شياطين الإنس والجن؛ فيؤدي الطاعة ويمتثل للأمر الشرعي وكله ثقة لا تتزعزع أن فيه خيره ونفعه.

وقد جاء في رواية أخرى:" كخ كخ١٢٥" (وهي كلمة تقال لردع الصبي عند تناوله ما يستقذر)١٢٦ ليقذر في نفسه ما لا يحل له، والنفس السوية تبغض القاذورات.

وقد استفاد الإمام ابن حجر من الحديث:(تأديبهم(الأطفال) بما ينفعهم ومنعهم مما يضرهم، ومن تناول المحرمات وإن كانوا غير مكلفين ليتدربوا بذلك)١٢٧،فمرحلة الطفولة مرحلة غرس العادات الحسنة في نفوس الصغار، فإذا أحسن استغلالها وتتبع العادات السيئة التي تنتقل إلى الصغار ممن يخالطونهم، نشأ الطفل وخيره يغلب شره، ونشأ كذلك مسارعا إلى الخير محبا لفعله فلطالما فعله مرات ومرات.

٣-غرس معاني الرجولة في نفوسهم منذ الصغر:ويفهم من هذا الحديث:(مخاطبة الصبيان بما يخاطب به الكبار الفهماء إذا فهموا)١٢٨، و في ذلك تربية على غرس معنى الرجولة في نفوس الطفل بما يعقل من كلام وتصرفات، لينشأ على هذه المعاني التي تحفظ عليه كيانه وتصونه من الميوعة والانحلال، وكم من آباء مدوا في أيام الطفولة لأبنائهم حتى بلغوا مبلغ الرجال ولا زالوا بعد في أعين أنفسهم وذويهم يعاملون معاملة الأطفال، بل إنهم ينتظرون من كل من يعرفهم أن يعاملهم معاملة الأطفال والصغار، وما إن يفاجئوا بأن

١٢٤- التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٠/ ٥٤٧)

١٢٥- وقال الداودي: هي معربة، ومعناها: بئس، وفيها ثلاثة أوجه: فتح الكاف وتنوين الخاء كذا في رواية أبي الحسن، ثانيها: بكسر الكاف وإسكان الخاء في رواية أبي ذر، ثالثها: كسر الكاف وتشديد الخاء في بعض نسخ الهروي التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٠/ ٥٧٧)

١٢٦- فتح الباري لابن حجر ٣/ ٤٣٣

١٢٧- فتح الباري لابن حجر ٣/ ٤٣٤

١٢٨- شرح صحيح البخارى . لابن بطال (٥/ ٢٣٢)

الناس ينظرون إليهم نظرة من شب عن الطوق حتى تصيبهم الأمراض النفسية، فهم لم يتعودوا على تكاليف الرجولة، وللرجولة أثمان باهظة لا يستطيع هؤلاء الأطفال الكبار في العمر أن يتحملوها ، وتبقى المفارقة الكبيرة بين واقع العمر العقلي والخبرات الاجتماعية التي اكتسبها هؤلاء، والتي تبلغ في مجموعها صفرا أو تحت الصفر، وما ينبغي أن يكونوا عليه من تمرس بالواجبات التي يفرضها الدين وتقدرها العادات والمجتمعات، لنجد البون شاسعا بين الواجب وواقع هؤلاء.

كل ذلك يمكن أن نتجاوزه بهذا التعليم النبوي الذي يغرس في نفوس الصغار أنهم رجال المستقبل، وينبغي أن يتعودوا على صفات الرجولة شيئا فشيئا وعلى يد مرب حكيم ، حتى لا تنفر نفوسهم من التكليف بتكاليف الرجوله فيرتموا في أحضان الانحلال والميوعة.

وقد بقيت هذه الكلمات المضيئة في ذهن الحسن بن علي رضوان الله عن الجميع حتى كبر،(وحديث الحسن بن علي – رضي الله تعالى عنهما – رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير من رواية أبي الحوراء قال:" كنا عند الحسن بن علي، فسئل ما عقلت من النبي أو عن رسول الله؟ قال كنت أمشي معه ، فمر على جرين من تمر الصدقة، فأخذت تمرة فألقيتها في فمي، فأخذها بلعابها، فقال بعض القوم: وما عليك لو تركتها؟" فقال:" إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة"، وإسناده صحيح)[١٢٩] وهذا يدلنا على أن الغرس النضير في مثل هذا العمر الصغير يؤتي أكله، وتنضبط به حركة الحياة بعد ذلك، وتبقى آثاره ما بقي الإنسان في الدنيا.

١٢٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١١٣/٩

المبحث الرابع: دعوة الأخوة: ومن بين أفراد الأسرة الذين يتقوى بهم الداعية على مصاعب الحياة ،وهم عدته في النوازل، وكونهم على الجادة يوفر عليه جهدا كبيرا، إخوته

وقد تناولت دعوة الأخوة في النقاط التالية:

١-التضحية من أجل إصلاح الأخوة: يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنه☹ غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – عَلَى نَاضِحٍ لَنَا، فَأَزْحَفَ الجَمَلُ، فَتَخَلَّفَ عَلَيَّ، فَوَكَزَهُ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – مِنْ خَلْفِهِ، قَالَ: "بِعْنِيهِ وَلَكَ ظَهْرُهُ إِلَى المَدِينَةِ". فَلَمَّا دَنَوْنَا اسْتَأْذَنْتُ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ. قَالَ – صلى الله عليه وسلم –: "فَمَا تَزَوَّجْتَ، بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟ ". قُلْتُ: ثَيِّبًا، **أُصِيبَ عَبْدُ اللهِ وَتَرَكَ جَوَارِيَ صِغَارًا، فَتَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا تُعَلِّمُهُنَّ وَتُؤَدِّبُهُنَّ**، ثُمَّ قَالَ: "ائْتِ أَهْلَكَ". فَقَدِمْتُ فَأَخْبَرْتُ خَالِي بِبَيْعِ الجَمَلِ فَلاَمَنِي، فَأَخْبَرْتُهُ بِإِعْيَاءِ الجَمَلِ، وَبِالَّذِي كَانَ مِنَ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – وَوَكْزِهِ إِيَّاهُ، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – غَدَوْتُ إِلَيْهِ بِالجَمَلِ، فَأَعْطَانِي ثَمَنَ الجَمَلِ وَالجَمَلَ وَسَهْمِي مَعَ القَوْمِ)١٣٠.

١٣٠- صحيح البخاري كتاب الاستقراض باب الشفاعة في وضع الدين ص٣٨٦، ٣٨٧.

وفي موضع آخر قال☹ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ تُوُفِّيَ وَالِدِي –أَوِ اسْتُشْهِدَ– وَلِي أَخَوَاتٌ صِغَارٌ، **فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ مِثْلَهُنَّ، فَلاَ تُؤَدِّبُهُنَّ، وَلاَ تَقُومُ عَلَيْهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا لِتَقُومَ عَلَيْهِنَّ وَتُؤَدِّبَهُنَّ)** ١٣١.

نجد جابر – رضي الله عنه – يتحمل أمانة رعاية أخوته وهن بنات صغار يحتجن فوق همّ النفقة عليهن ، لمن يتولى العناية بهن في أمورهن الخاصة، فللفتاة طبيعة تحتاج إلى من يتحمل تقلباتها ويكون على دراية بهذه المرحلة العمرية الدقيقة التي تتطلب:

أ–صدرا واسعا. ب– وفكرا واعيا. ج–وقدرة على العطاء المادي والمعنوي دون انتظار مقابل ، نجد جابر – رضي الله عنه – يختار من تقوم بأمر إخوته الصغار، وإن كان مقابل ذلك حرمانه من زوجة تلاعبه ويلاعبها، نرى الراعي الذي يدرك مسئولياته ، ومن ثم تأتي اختياراته لكي يؤدي الواجب الذي تحمّله وإن نقص ذلك من حظه من الدنيا فعند الله تعالى العوض.

ونرى الرجل يختار امرأة حكيمة تتصف من مجموع الروايتين بالقدرة على التعليم والتأديب والقيام على شؤونهن، وامرأة تتحلى بهذه الصفات خليقة أن تزكي من تربيهن وتكسبهن أمهات الفضائل ؛ فعندما تتعلم الفتاة ما يجب لها وما يجب عليها نحو ربها ونحو نفسها ونحو الناس، وتتعلم ما هو دورها في الحياة وكيف تقوم به ، وعندما تُربى على أن تكون صاحبة خلق ، يجعلها زينة المجالس إن كانت وسط الناس؛ خليقة بالتقدير إن حضرت ،وبالذكر الطيب إن غابت ،وتجد قبل ذلك وبعده من يرعى كل شئونها ، فما أعظمها من نعمة ،وما أعظم أجر من هيأ لها البيئة الصالحة لكي تنبت نباتا حسن يسر الناظرين وتقر به عين أهل الإسلام.

وكل ما تتحلى به الفتاة من خلق وما توصف به من مزية، لمن رباها وقام على أمرها الأجر الجزيل من الله والثناء الحسن من الناس، كل ذلك وأكثر منه كان في ذهن جابر – رضي الله عنه – وهو يختار عروسه.

٢–الإهداء للأخ: ومما يوثق العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة الهدايا ،فهي كما قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " تَهَادَوْا، فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَغَرَ الصَّدْرِ"١٣٢ والإسلام يوصي

١٣١– صحيح البخاري كتاب الجهاد باب استئذان الرجل الإمام صـ ٤٩٠

أبنائه بالإحسان إلى كل المخلوقات وهذا الإحسان يفعله المسلم ابتغاء مرضاة الله، لا لكي يجد مقابله ،عرضا من أعراض الدنيا الفانية، وإذا رأى الناس إحسان المسلمين إلى بعضهم وإلى غيرهم تشوفت نفوسهم إلى هذا الدين الذي يدعو اتباعه للإحسان فمن كان من السعداء رأى الحق واتبعه، عَنِ ابْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – قَالَ رَأَى عُمَرُ حُلَّةً عَلَى رَجُلٍ تُبَاعُ فَقَالَ لِلنَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – ابْتَعْ هَذِهِ الْحُلَّةَ تَلْبَسْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَإِذَا جَاءَكَ الْوَفْدُ . فَقَالَ:" إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذَا مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ فِى الآخِرَةِ " . فَأُتِىَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – مِنْهَا بِحُلَلٍ فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ مِنْهَا بِحُلَّةٍ . فَقَالَ عُمَرُ:" كَيْفَ أَلْبَسُهَا وَقَدْ قُلْتَ فِيهَا مَا قُلْتَ؟!" قَالَ:" إِنِّى لَمْ أَكْسُكَهَا لِتَلْبَسَهَا ، تَبِيعُهَا أَوْ تَكْسُوهَا" . **فَأَرْسَلَ بِهَا عُمَرُ إِلَى أَخٍ لَهُ**١٣٣ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ)١٣٤

الإسلام لا يقطع العلاقات بين بنيه وبين من لا يدينون به، بل تظل يد المسلم ممتدة بالإحسان بلا تهاون في ثوابت الشرع، فالإنسان عبد الإحسان والحسنى أقرب طريق إلى القلوب، وقد ينتج كل ذلك أثرا في نفوس الأقارب غير المسلمين يصل إلى التفكير في هذا الدين الذي يأمر أتباعه بالإحسان حتى لمخالفيهم، وقد يؤدي التفكير لمن أراد الله تعالى به الخير إلى اعتناق هذا الدين الحق وقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :" فَأَرْسَلَ بِهَا عُمَرُ إِلَى أَخٍ لَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ" يظهر أن هذا الأخ كان مشركا ثم أسلم وهذا يبين الأثر الحسن للهدية التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم:" تذهب وحر الصدر"

ولنا أن نتصور فضل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وحسن صلته لأخيه، عندما نعلم أن الهدية انتقلت من مكة إلى المدينة وسارت أياما وليال.

فالصدقة على القريب تقرب البعيد وتؤلف النافر وتجمع الشمل، وقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها وعلى طاعته.

١٣٢– مسند أحمد وقال الشيخ شعيب :حديث حسن وهذا إسناد ضعيف لضعف أبي معشر، قوله: "وَغرَ"، قال السندي: بفتح فسكون وقد تفتح: الحقد والضغْن والعداوة والتوقد من الغيظ، أي: أنها تزيل العداوة، وتزيد المحبة. (١٥/ ١٤١ ،١٤٢) ط /الرسالة

١٣٣– هو أخوه لأمه عثمان بن حكيم بن أمية وقد اتفقوا على اسمه واختلفوا في إسلامه فمنهم من قال لم يذكر في الصحابه انظر فتح الباري لابن حجر المقدمة صـ٤٠١ و (١٠/ ٣٤٩)وأرى أن قول ابن عمر قبل أن يسلم فصل في المسألة وفيه دلالة على إسلامه.

١٣٤– صحيح البخاري كتاب الهبة باب الهديه للمشركين صـ٤٢٤.

وأهل الرجل هم أولى الناس بمعروفه وإحسانه قال تعالى: {وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ} إلى قوله: {فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ} [النساء: ٨] (فثبت بهذا المعنى أن الصدقة على الأقارب وضعفاء الأهلين أفضل منها على سائر الناس، إذا كانت صدقة تطوع، ودل على ذَلِكَ حديث زينب امرأة ابن مسعود.وقوله – صلى الله عليه وسلم –: "لها أجران أجر القرابة وأجر الصدقة". ..واستعمل الفقهاء الصدقة في غير الأقارب؛ لئلا يصرفوها فيما يجري بين الأهلين في الحقوق والصلات والمرافق؛ لأنه إذا جعل الصدقة الفريضة في هذا المعتاد بين الأهلين، فكأنهم لم يخرجوها من أموالهم؛ لانتفاعهم بها وتوفير تلك الصلات بها، فإذا زال هذا المعنى جازت الزكاة للأقارب الذين لا يلزمه نفقتهم)١٣٥

هذا الشرح يلفت أنظار الأغنياء إلى تعلق نفوس الفقراء بأموال أقاربهم الأغنياء واستشراف إحسانهم، وبهذا الإحسان تتوثق الصلات وتقوى الروابط ،ويكون المرء أقرب إلى أن تتفتح آفاق عقله وقلبه، أما من ينفق على الفقراء ويدع أقاربه يتلظون بحاجات لا يستطيعون سدها، فكيف تتفتح له الآذان والقلوب ليلقي فيها الهداية والنور وقد أغلق أبواب بره وإحسانه عنهم؟!.

كما أنه ينبغي التمييز بين ما يكون بين الأقارب من واجبات إجتماعية تفرضها العادات والتقاليد التي توجب على الناس أن يقدم بعضهم لبعض الهدية وإن اختلفت مسمياتها ،أو المعونة وإن تعددت أسمائها ، ينبغي التمييز بين المال الذي يخرجه المسلم فريضة من الله، وبين الصدقات التي يتطوع بها ابتغاء مرضات الله فالمال الواجب إخراجه يقدم لغير الأقارب والصدقات تقدم لهم، قال الإمام العيني:(أي هذا باب في بيان الزكاة على الأقارب وليس المراد من الزكاة ههنا معناها الشرعي الذي هو:" إيتاء جزء من النصاب الشرعي الحولي إلى فقير مسلم غير هاشمي ولا مولاه بشرط قطع المنفعة عن المزكي لله تعالى"، وإنما المراد منها ما أخرجته من مالك لتسد به خلة المحتاج وتكتسب به الأجر والمثوبة عند الله، وللزكاة معان في اللغة منها ما ذكرناه)١٣٦

١٣٥- التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٠/ ٤٣٤)

١٣٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٩/ ٤٠

المبحث الخامس:دعوة الأصهار:

يعلمنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – درسا في معاملة الأصهار – به تستقيم الأمور بين المرأ وزوجه وتستديم الود بين الأصهار– عندما يتناقل الناس خبرا مفاده طلاق النبي – صلى الله عليه وسلم – لحفصة وبعد أن ذهب عمر – رضي الله عنه – إلى حفصة ليتأكد من صحة خبر طلاق النبي – صلى الله عليه وسلم – نسائه، وبعد أن لم يجد عندها ما يؤكد أو ينفي الخبر، وبعد أن وعظها يذهب عمر – رضي الله عنه – إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ليستوضح منه ،قال عمر رضي الله عنه:(فَخَرَجْتُ فَجِئْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ، فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ الْمَشْرُبَةَ الَّتِي فِيهَا النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – فَقُلْتُ لِغُلاَمٍ لَهُ أَسْوَدَ:" اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ".

فَدَخَلَ الْغُلاَمُ فَكَلَّمَ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: "كَلَّمْتُ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – وَذَكَرْتُكَ لَهُ، فَصَمَتَ". فَانْصَرَفْتُ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ فَقُلْتُ لِلْغُلاَمِ: "اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ". فَدَخَلَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ:"قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ، فَصَمَتَ". فَرَجَعْتُ فَجَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ الْغُلاَمَ فَقُلْتُ:"اسْتَأْذِنْ

لِعُمَرَ". فَدَخَلَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ فَقَالَ:"قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ". فَلَمَّا وَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا –قَالَ:– إِذَا الْغُلاَمُ يَدْعُونِي فَقَالَ:" قَدْ أَذِنَ لَكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ". فَدَخَلْتُ على رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ على رِمَالِ حَصِيرٍ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ، مُتَّكِئًا على وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ:" يَا رَسُولَ اللهِ، أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟" فَرَفَعَ إِلَيَّ بَصَرَهُ فَقَالَ: "لاَ". فَقُلْتُ:"اللهُ أَكْبَرُ". ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ أَسْتَأْنِسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ إِذَا قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم –، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ رَأَيْتَنِي وَدَخَلْتُ على حَفْصَةَ فَقُلْتُ لَهَا: لاَ يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ أَوْضَأَ مِنْكِ وَأَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم – يُرِيدُ عَائِشَةَ– فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – تَبَسُّمَةً أُخْرَى، فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ)١٣٧.

ويمكن استخلاص عدة دروس يستفيد منها من يدعو صهره:

١–الحرص على ملاقاة الصهر في أسرع وقت عند العلم بوجود مشكلة بينه وبين زوجه: نرى المحاولات الدائبة للاستئذان على النبي – صلى الله عليه وسلم – والتي بلغت ثلاث مرات، وبعد الثالثة يأذن له النبي – صلى الله عليه وسلم – فيسأله السؤال الأهم في الموضوع: أطلقت نسائك؟.

٢–محاولة إيناس الصهر: وعندما يطمأن عمر – رضي الله عنه – إلى أن نساء النبي – صلى الله عليه وسلم – لازلن في عصمته، بدأ يخفف عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – بعض ما يجد.

٣– إعلامه بما يتوقع أن يكون سببا للمشكلة: فيقول له:أستأنس يا رسول الله ويخبره – والنبي صلى الله عليه وسلم يعلم – أن الطبائع تتغير بتغير البيئات، وأن البيئة تغيرت، وأن الحياة التي يعيشها نساء مكة في المدينة قد غيرت من طبائعهن ،وأنهن اقتدين بنساء الأنصار، فرأين أن لهن كلمة ينبغي أن تقال ويسمعها الرجال.

١٣٧– صحيح البخاري كتاب النكاح باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها ص٩٢٨

٤-مواصلة إيناس الصهر عندما تبدأ المؤانسة تؤتي ثمرتها: يرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه النبي – صلى الله عليه وسلم – يتبسم، وكان ابتسام النبي – صلى الله عليه وسلم – داعيا له إلى مزيد من الكلمات التي تذهب ما في النفس من حزن.

٥-محاولة توجيه الزوج إلى خطأها وإعلام الصهر بذلك: وعملا بما يجب على الرجل نحو صهره ونحو ابنته، ذكر عمر لرسول الله – صلى الله عليه وسلم- أنه بيّن لحفصة خطئها ، وأن طريقتها في الحياة ستؤدي بها إلى الشقاق ثم إلى الفراق "ثُمَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ رَأَيْتَنِى وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ لَهَا:" لاَ يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ أَوْضَأَ مِنْكِ وَأَحَبَّ إِلَى النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم"، يُرِيدُ عَائِشَةَ فَتَبَسَّمَ النَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم – تَبَسُّمَةً أُخْرَى"

٦-الاستفسار من الصهر عن مدى ما وصلت إليه المشكلة: يسأل عمر رضي الله عنه – رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا:" أطلقت نسائك؟" فرفع بصره إليه وقال: لا.

وكم من متعجل سمع كلاما منقوصا أو كذبا ، أوكلاما لم يفهمه على وجهه ، فتكلم بما يعكر صفو الود ويزيد من الشقاق حتى نصل إلى الفراق ، وما كان أغنانا عن ذلك لو اتئد المستمع حين يستمع وقبل أن ينطق.

٧-التذكير بأنه قلما يخلو بيت من مشكلات: وفي سعي عمر –رضي الله عنه– للتخفيف عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ما يجده من نسائه، ذكر أن نساء المسلمين يشققن على أزواجهن، فهي حالة عامة لا تختص بالبيت النبوي وحده، وقد نتجت عن اختلاط نساء المهاجرين بنساء الأنصار ومن ثم أخذن من عاداتهن . "ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ أَسْتَأْنِسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ رَأَيْتَنِى ، وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ إِذَا قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ"

٨-بيان ما لكل طرف من حق عند الطرف الآخر: وقد راعى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – طلب حفصة –رضي الله عنها– وبقية نساء النبي – صلى الله عليه وسلم – عندما سألنه النفقه، لكنه – رضي الله عنه – وهو يكلم حفصه يقول لها" لا تستكثري رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وسليني ما بدا لك" وعندما رأى حياة رسول الله – صلى الله عليه وسلم الخشنة – والتي وصفها رضي الله عنه بقوله :"فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ مُتَّكِئًا عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ

أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ ... فَرَفَعْتُ بَصَرِى فِى بَيْتِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِى بَيْتِهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلاَثَةٍ " عند ذلك سأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يدعو الله تعالى ليوسع على أمة النبي صلى الله عليه وسلم، ونسائه – صلى الله عليه وسلم – من بين أمته فقال:" فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ ، فَإِنَّ فَارِسًا وَالرُّومَ قَدْ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ ، وَأُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لاَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ" ونلحظ أن عمر – رضي الله عنه – قد طلب ما يطلبه نساء النبي – صلى الله عليه وسلم– لكن ذلك بصورة عامة تشملهم وتشمل غيرهم.

المراجع:

القرآن الكريم

كتب المتون:

١–صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ط/دار السلام الرياض الثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٢– مسند الإمام أحمد بن حنبل للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني تحقيق : شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد ، وآخرون،إشراف : د عبد الله بن عبد المحسن التركي،الناشر : مؤسسة الرسالة،الطبعة : الأولى ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٣– الجامع الكبير – سنن الترمذي للإمام محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى تحقيق: بشار عواد معروف ،الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت،سنة النشر: ١٩٩٨ م.

٤- مسند البزار (المسمى باسم البحر الزخار)لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ،تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله ، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)،وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)،وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)،الناشر : مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة،الطبعة : الأولى.

كتب الشروح:

٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ط/كتبة الصفا الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

٦-شرح صحيح البخارى . لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي الناشر : مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ، الطبعة : الثانية،تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

٧- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ،الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ

٨- التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ،تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث،الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني الحنفي ضبطه وصححه عبد الله محمود محمد عمر ط/دار الكتب العلميه الأولى ١٤٢١/٢٠٠١م

١٠- فتح الباري لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب،دار النشر : دار ابن الجوزي - السعودية / الدمام - ١٤٢٢هـ ،الطبعة : الثانية ، تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد.

كتب الفقه:

١١- الإجماع ،لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري تحقيق : فؤاد عبد المنعم أحمد،الناشر : دار المسلم للنشر والتوزيع،الطبعة : الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤مـ.

١٢- بداية المجتهد و نهاية المقتصد لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد ،الناشر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر،الطبعة : الرابعة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

كتب اللغة:

١٣- المستقصى في أمثال العرب لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ،الناشر : دارالكتب العلمية – بيروت،الطبعة الثانية ، ١٩٨٧.

كتب الأسرة:

١٤-موسوعة الأسرة اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق الشريعة ، الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٥-كيف نحمي أسرنا من التفكك ا.د عبد الكريم بكار ط/مؤسسة الإسلام اليوم الثانية ، ربيع الثاني ١٤٣٠هـ.

١٦- سألوني عن نيران الغيرة لدى النساء مجموعة من الكتاب الناشر دار وجوه للنشر والتوزيع الأولى.

١٧- الزواج الناجح مفتاح السعادة د/ اوستاس تشاسر ،تعريب شوقي رياض السنورسي، ط/ مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٨- الزواج وبناء الأسرة د/كمال إبراهيم مرسى ،ط/دار القلم ،الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

الدوريات:

١٩-مجلة البيان، الأطروحات الدعوية الموجهة للمرأة المسلمة وقفة .. ودعوة للمراجعة ! فاطمة بنت عبد الله البطاح (ع/١٤٣/ رجب ١٤٢٠هـ.

الفهرس:

مقدمة:

أهمية الموضوع

المصطلحات القريبة

مشكلة البحث

خطة البحث

تمهيد:

علاقة أفراد الأسرة بعضهم ببعض

مسؤلية مشتركة

أنموذج للتعاون على البر

تكريم الإسلام للمرأة

المبحث الأول:دعوة الزوجين لبعضهما البعض:

١-صفات الزوج الصالحة.

٢-وصف زوج الداعية من أحواله ما يدل على قيامه بأمر الله تعالى.

٣-إطلاع الزوجة على ما يخاف منه إن كانت ذات رأي سديد.

٤-إظهار محبة الداعية لزوجه.

٥-تحقيق المؤانسة.

٦- داء الغيرة ودوائها.

٧-إظهار الكراهية على الوجه إذا كان يكفي لإشعار من ينكر عليه.

٨-تعاون يثمر محبة وألفة.

٩-الطريقة المثلى لإبلاغ الزوج لزوجه بمصاب أليم.

١٠-قطع قالة السوء.

المبحث الثاني: دعوة الأبناء:

١-محبة الوالدين أقوى دافع لطاعتهما.

٢-حب الوالد لولده لا يمنعه من تقويمه.

٣-عدم اعتماد الأبناء على صلاح الآباء.

٤-رعاية الأب لأبنائه لا تتوقف عند بلوغهم عمر معين.

٥-المساهمة في حل النزاع بين الابنة وزوجها.

٦-توجيه الأب لابنته إلى الخير حتى قبل وفاته.

٧-استشارة الابنة لأبيها.

٨-رعاية موهبة الابن.

٩-تعليم ما يتعلق بالمسائل الجنسيه في إطار شرعي.

المبحث الثالث:دعوة الحفيد:

١-شفقة بالغة.

٢-رحمة منضبطة بضوابط الشرع.

٣-غرس معاني الرجولة في نفوسهم منذ الصغر.

المبحث الرابع: دعوة الأخوة:

١-التضحية من أجل إصلاح الأخوة.

٢-الإهداء للأخ.

المبحث الخامس:دعوة الأصهار:

١-الحرص على ملاقاة الصهر في أسرع وقت عند العلم بوجود مشكلة بينه وبين زوجه.

٢-محاولة إيناس الصهر.

٣- إعلامه بما يتوقع أن يكون سببا للمشكلة.

٤-مواصلة إيناس الصهر عندما تبدأ المؤانسة تؤتي ثمرتها.

٥-محاولة توجيه الزوج إلى خطأها وإعلام الصهر بذلك.

٦-الاستفسار من الصهر عن مدى ما وصلت إليه المشكلة.

٧-التذكير بأنه قلما يخلو بيت من مشكلات.

٨-بيان ما لكل طرف من حق عند الطرف الآخر.